



عقدٌ من المواجهات إيران الثورية والشيعة في الخليج

توبي ماتثيسن^[1]

Toby Matthiesen

التحرير: كان عقد الثمانينيات من القرن المنصرم هو عقد انفجار مؤثرات الثورة الإسلامية في إيران على الداخل الخليجي، فنشأت قوى جديدة أضيفت إلى الخارطة التقليدية مما شكل تحدياً للحكم والمعارضة.

غداة الثورة الإيرانية مباشرةً، عمدت حركة الرسالين الطلائع ولا سيما قياديتها من أمثال محمد تقى المدرسي إلى التقرب من بعض الشخصيات السياسية داخل إيران؛ فقد انتقل كوادر حركة الرسالين الطلائع إلى جانب محمد الشيرازي للإقامة في إيران.^[2] وبالنظر إلى ردود الفعل القاسية التي جاءت على يد القوات الأمنية واعتقال

1- كاتب بريطاني يحمل شهادة دكتوراه لأطروحته بعنوان «شيعة المملكة العربية السعودية: سياسات الهوية والطائفية والدولة» والتي حصل من خلالها في العام 2012 على جائزة ويلدافسكي لأفضل أطروحة حول الدين والسياسة. ونشرت جامعة كامبريدج نسخة منقحة في العام 2015. وفي العام 2013، نشر كتاباً يستند على مشروع بحث ينظر في كيفية تأثير مظاهرات الربيع العربي على الدول الخليجية وكيف ردت تلك الدول على المظاهرات سواء في الداخل أو العالم العربي الأوسع. يعمل حالياً على تأليف كتاب بشأن دور الدول الخليجية في الحرب الباردة العالمية وتاريخ الحركات اليسارية والقومية في المنطقة. وهو الآن باحث في قسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في كلية ممبروك، جامعة كامبريدج.

[2]- لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. 179؛ مقابلة مع محمد تقى المدرسي في البرنامج التلفزيوني فان الفلاني على شاشة قناة الشرقية، العراق، 2005.

الأعداد الكبيرة من المتظاهرين، فقد اضطّر الكثير من القياديين والناشطين في صفوف منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية للذهاب إلى المنفى؛ ففي أعقاب الانتفاضة انتقل بضع مئات من الشباب السعوديين الشيعة إلى طهران للدراسة في حوزة القائم التابعة لحركة الرساليين الطلائع.^[1] إذ كانت الحركة قد تمكنت من الحصول على مركز لها في مدينة مامازند خارج طهران في مبنى الجمعية النسائية (سازمان زنان) التي كانت قد حلت وذلك من أجل تأسيس صرحٍ تعليميٍّ كبيرٍ لها. ولقد قامت هذه الحوزة الجديدة على غرار سابقتها في الكويت؛ حيث كان محمد تقي المدرسي المشرف الأعلى عليها وقام بإدارتها بمساعدة كلٍّ من حسن الصفار ومحمد فوزي ومحمد آل سيف وصاحب الصادق، إلى جانب آخرين.^[2] ولقد ضمت مقاعد الحوزة بضع مئات من الطلاب إلا أنهم كانوا في أغلبهم من السعوديين.^[3]

في إيران ما بعد الثورة كانت علاقات حركة الرساليين الطلائع وفروعها المنتشرة في المنطقة قائمة بصورة أساسية على التعامل مع محمد منتظري، وهو نجل حسين علي منتظري، ومن ثم بعد وفاة ذاك الأول انتقلت العلاقات إلى مهدي هاشمي. كان محمد منتظري صلة الوصل الرئيسية بين الإيرانيين و«حركة التحرير»، إلى أن تم قتله في تفجيرٍ في المبنى الرئيسي للحزب الجمهوري الإسلامي في العام 1981.^[4] بعد وفاة محمد منتظري أرسلت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية برقية تعزية إلى روح الله الخميني وحسين علي منتظري، إلى جانب أنها نشرت مقالاً مطولاً حول الإنجازات التي قام بها محمد منتظري على مدى حياته، حيث أشادت بدعمه للحركات الثورية الأجنبية في إيران وأعلنت بأن منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية كانت على معرفةٍ به على مدى سنواتٍ حتى قبل قيام الثورة الإيرانية. بعد ذلك

[1]- مقابلة مع أحد كبار الأعضاء السابقين في حركة الرساليين الطلائع، دمشق، آب 2008.

[2]- مقابلة مع أحد أعضاء الجناح الديني في حركة الرساليين الطلائع، دمشق، آب 2008؛ المشيخص، القطيف، المجلد 1، ص. 498 والصفحة التالية.

[3]- لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. ص. 167، 232؛ «لمحة عن المرجع المدرسي»، www.almodarresi.info/1430/modules/alseyra.

[4]- الثورة الإسلامية 15 (تموز 1981)، ص. ص. 2، 8 - 12، 16. راجع أيضًا خدمة بث المعلومات الأجنبية 6، FBIS، تشرين الثاني 1986.

استلم مهدي هاشمي، وهو صهر حسين منتظري، زمام تنسيق نشاطات الحركات التحررية بدءاً من العام 1981 حتى عام 1986 حين اعتقاله على خلفية فضيحة إيران غايت.^[1] حتى الآن ليس معروفاً تماماً من أعضاء الحكومة الإيرانية كان على دراية بالمساعدة المقدمة للشيعة في الخليج، إذ يقول البعض بأن وزارة الخارجية الإيرانية، على سبيل المثال، كانت تعارض الكثير من عمليات التصدير.^[2] كانت مجموعة منتظري/ مهدي واحدة من التكتلات الكثيرة التي كانت تسعى جاهدة كي تجد لنفسها موطئ تأثير في إيران في حقبة ما بعد الثورة، ولكن دورها انتهى تماماً في العام 1986 عندما أُلقي القبض على مهدي هاشمي.

حملت وقائع عدة، من ضمنها المساعي الكبيرة التي قامت بها الحملات الدعائية الإيرانية في معرض دعمها للانتفاضة واللافقات التي تحمل صور الخميني التي كان المحتجون يحملونها وانتقال المعارضة الشيعية للإقامة في إيران على أثر الانتفاضة، على الاعتقاد بأن هذه الانتفاضة كانت تابعة للثورة الإيرانية.^[3] في حين أن آخرين اعتبروا بأن المظلومية التي شعر الشيعة بها قادتهم إلى الثورة وحاجوا بأن التأثير الذي تلقته انتفاضتهم لم يعد كونه رمزياً.^[4] على ما يبدو، فإن نجاح الثورة الإيرانية حمل بعض السعوديين إلى الاعتقاد بأن الثورة باتت خياراً حتمياً لا غنى عنه وبأن

[1]- لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. ص. 179 - 85. يُقال إن محمد تقي مدرسي كان يرأس هيئة أخرى تهدف إلى تصدير الثورات. دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1983 - 4، ص. 173. تقول بعض المصادر بأن أحد «المكاتب» في الخليج كان مرتبطاً بهذه الهيئة. كاكيل دان، "Until the Imam Comes: Iran Exports its Revolution" (حتى يعود الإمام: إيران تصدر ثورتها) ديفنش آند فورين أفيرز (تموز/ آب 1987)، ص. ص. 43 - 51، 45. ولكن لوير وغيره من الأشخاص الذين كانوا مقربين من المدرسي في ذلك الوقت يقولون بأنه لم يتول قط أي منصب رسمي داخل الدولة في إيران ويشكون بوجود هذه الهيئة أو "مكتب الخليج" في الأساس. مراسلات عبر البريد الإلكتروني مع توفيق آل سيف، حزيران 2012. راجع أيضاً لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. 180؛ مارشال، Iran's (إيران)، ص. 31.

[2]- مارشال، Iran's (إيران)، ص. 27.

[3]- هينير فورتيفغ، Iran's Rivalry with Saudi Arabia between the Gulf Wars (الصراع الإيراني مع المملكة العربية السعودية في ما بين حربي الخليج)، (قراءات، المملكة المتحدة؛ إيثاكا برس، 2002)، ص. ص. 34 - 8؛ غولديبرغ، "Shi'i Minority" (الأقلية الشيعية) ص. ص. 239 - 46؛ كوستنتينر "Shi'i Unrest" (الاضطراب الشيعي)؛ مارشال، Iran's (إيران)، ص. 35؛ دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1979 - 80، ص. ص. 688 - 70.

[4]- جونز، "Rebellion" (تمرد).

الاحتجاجات في الشوارع قادرة على إحداث تغيير نحو الأفضل في ظروفهم المعيشية، كما ورأوا بأن القادة الشيعة المحليين لم يكونوا قادرين على إطلاق الانتفاضة على الأقل من دون الحصول على موافقة محمد تقي المدرسي الذي كان آنذاك مقيماً في إيران.^[1]

بتاريخ 22 تشرين الأول من العام 1979^[2] سافر الشاه محمد رضا بهلوي إلى نيويورك من أجل الخضوع للعلاج، مخلفاً وراءه شعوراً متنامياً بالكره تجاه الأميركيين لدى الإيرانيين وغيرهم، بما في ذلك بعض الشيعة السعوديين.^[3] وبنتيجة جزئية لهذا الحدث، هجم بضع مئات من الطلاب الإيرانيين على السفارة الأميركية في طهران بتاريخ 4 تشرين الثاني 1979 واحتجزوا الأميركيين الذين كانوا في الداخل رهائن، وبعد أيام قليلة على الحادثة استقال كل من رئيس الوزراء مهدي بازركان ووزير الخارجية إبراهيم يزدي من منصبيهما.^[4] ومع سقوط حكومة بازركان في تشرين الثاني من العام 1979، باتت السياسة الخارجية الإيرانية واقعة تحت تأثير أولئك الذين يسعون إلى تصدير الثورة، ولقد استمر هذا الوضع حتى أيلول من العام 1980، تاريخ اندلاع فتيل الحرب الإيرانية العراقية.^[5]

[1]- مقابلة مع فؤاد إبراهيم وحزمة الحسن، لندن، آذار 2010؛ لويس، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. 165.

[2]- ترك الشاه إيران نهائياً في 16 كانون الثاني / يناير ولم يتبرع باستقباله إلا الرئيس المصري آنذاك أنور السادات، بعد أن أوصدت في وجهه الأبواب، ثم ذهب إلى المكسيك ومن هناك تبين للأميركيين أنه في حالة صحية حرجة فاستقبلوه على مضض في أكتوبر 1979 ثم أجبروه على المغادرة بعد دخول الطلاب الإيرانيين إلى السفارة الأميركية في طهران. العرض من قبل الكاتب في النص الأصلي غير دقيق فاقضى التصويب (المحرر).

[3]- برقية أميركية دبلوماسية، القنصلية الأميركية في طهران، Update on Mood of Saudi Shi'as and Current Security Situation and تبدل في الجو العام لدى الشيعة السعوديين والوضع الأمني الحالي.

[4]- مايكل أم. جي. فيشير، Iran: From Religious Dispute to Revolution (إيران: من النزاع الديني إلى الثورة) (كامبريدج، ماساتشوستس، مطبوعات جامعة هارفرد، 1980)، ص. ص. 232 - 4.

[5]- فريد هالدياي، "Iranian Foreign Policy since 1979: Internationalism and Nationalism in the Islamic Revolution" (السياسة الخارجية الإيرانية من العام 1979: المنهج الدولي الوطني في الثورة الإسلامية)، نُشر في Shi'ism and Social Protest (المذهب الشيعي والاحتجاج الاجتماعي)، تحرير خوان آر. أي، كول ونيكي آر. كيدي (نيو هافن، كونيتيكت: مطبوعات جامعة يال، 1986)، ص. ص. 88 - 107، 95 - 7.

مع بداية شهر محرم الذي صادف في العام 1979 بدأت الحملات الدعائية الإيرانية المناهضة للمملكة العربية السعودية تزداد حدةً، ولا سيما عبر إذاعات راديو طهران وراديو أحواز، دون أن ننسى أيضاً المحطات التلفزيونية الناطقة باسم الجمهورية الإسلامية في إيران والتي وصل بثّها إلى القطيف للمرة الأولى في اليوم الأول من شهر محرم^[1]. بطبيعة الحال، لم يراود الشك الجنرال مالكي، القائد العام لمديرية المخابرات العامة في المنطقة الشرقية، بأن «الحالة الخارجة عن المألوف التي تشهدها أوساط الشيعة كانت قد جاءت بتأثير من الخميني وغيره من القوى الخارجية».^[2] كان المسؤولون عن إذاعات الراديو الناطقة باللغة العربية، فضلاً عن بعض البرامج العربية التي تعرضها المحطات التلفزيونية التي تبث من إيران، ينتمون إلى حركة الرساليين الطلائع؛ حيث يذكر أحمد الكاتب، أحد كوادر الحركة، أنه في ربيع العام 1979 «اتصلنا بصديقنا القديم محمد منتظري ... وسألناه إن كان يسمح لنا بأن نفتتح فرعاً للإذاعة الإيرانية يكون ناطقاً باللغة العربية والذي كان قد أغلق في أثناء الثورة»، فما كان من منتظري، الذي كان المحرك الأساسي وراء محاولات تصدير الثورة الإيرانية إلى الخارج، إلا أن وافق، عندئذ أسس الكاتب إلى جانب غيره من أعضاء حركة الرساليين الطلائع مكتباً للإذاعة الإيرانية في عبادان التي تقع على الجانب الإيراني من الخليج، والذين انطلقاً من هذه الإذاعة قاموا ببث أولى برامجهم المناهضة للعراق ومن ثم المناهضة للبحرين والسعودية. وقد جاء هذا الأمر نتيجة للعلاقات الطيبة التي جمعت بعض أعضاء حركة الرساليين الطلائع مع بعض المسؤولين الرسميين الإيرانيين.^[3] وما أن اشتعل أول فتيل في الانتفاضة حتى راحت الإذاعات الإيرانية الناطقة باللغة العربية تخصص الساعة تلو الأخرى

[1]- برقية أميركية دبلوماسية، القنصلية الأميركية في طهران، Update on Mood of Saudi Shi'as and Current Security Situation and تبدل في الجو العام لدى الشيعة السعوديين والوضع الأمني الحالي.

[2]- برقية أميركية دبلوماسية، القنصلية الأميركية في طهران، Tensions Rise among Saudi Shi'as in Eastern Province (زيادة الاضطرابات في أوساط الشيعة السعوديين في المنطقة الشرقية).

[3]- مقابلة مع أحمد الكاتب، لندن، أيلول 2008. راجع أيضاً مذكراته: أحمد الكاتب، مذكرات أحمد الكاتب: سيرتي الفكرية والسياسية... من نظرية الإمامة... إلى الشورى، www.alatib.net؛ منظمة التأسيس.

للأحداث التي كانت جارية في المنطقة الشرقية، وتحث «الحشود الثورية من أهالي القطيف الأبطال» إلى أن «يقاوموا الحكومة من الصحارى»، وانطلاقاً من تاريخ الأول من شباط عام 1980 وصاعداً كانت تخرج البرامج الإذاعية في كل يوم لتتحدث عن فساد العائلة الحاكمة ولكي تدعو الجموع، الشيعة بالتحديد، إلى الثورة^[1].

أما بعد اشتعال الحرب الإيرانية العراقية، راح تركيز إيران في تصدير ثورتها ينصب على لبنان والعراق ولكن من دون أن تقطع نهائياً دعمها للمجموعة الشيعية المتواجدة في دول الخليج العربي. فالحرب الكلامية التي أطلقها الخميني في وجه المملكة العربية السعودية انطلاقاً من العام 1979 وصاعداً، والانتفاضة في المنطقة الشرقية والدعم الإيراني لمنظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية والاحتجاجات التي قامت في أثناء موسم الحج؛ كلها عوامل ساهمت في علاقات سعودية إيرانية لم تنفك أن تزداد سوءاً.^[2]

على أثر الثورة الإيرانية، أعلنت حركة الرساليين الطلائع عن تأسيس ثلاث منظمات إقليمية، فعدا عن منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، تلك الفروع كانت عبارة عن فرع في العراق، تحت اسم منظمة العمل الإسلامي في العراق والذي تأسس في العام 1979، إلى جانب فرع البحرين الذي أطلق عليه اسم الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين التي انطلقت في العام 1980 تحت قيادة هادي المدرسي^[3]، الذي كان أن سبق له مع بدايات عقد السبعينيات أن أنشأ فرعاً لحركة الرساليين الطلائع في البحرين وعمد إلى حبك خيوط الأواصر مع بعض الوجهاء الشيعة الكبار في البحرين.^[4]

[1]- لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. 181. كما أن منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية راحت تبث تصاريحها عبر إذاعة راديو طهران. خدمة بث المعلومات الأجنبية FBIS، كانون الثاني 1980.

[2]- فيرتغ، Iran's Rivalry (الخلافت الإيرانية)، ص. 34 - 8؛ لونغ «Impact» (تأثير)، مارشال «Iran's» (إيران) ص. 26 - 45.

[3]- المدرس، الحركات، ص. 101؛ راشد حمادة، عاصفة فوق مياه الخليج: قصة أول انقلاب عسكري في البحرين 1981 (لندن: الصفا للنشر والتوزيع، 1990)، ص. 233 والصفحة التالية؛ خدمة بث المعلومات الأجنبية FBIS، 12 أيلول 1979؛ خدمة بث المعلومات الأجنبية FBIS، أيار 1980.

[4]- لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. 139 - 43.

ولقد شكّل الناشطون الشباب الشيعة من السعوديين الجزء الأكبر من القاعدة الشعبية لحركة الرسالين الطلائع وهم الذين لم ينخرطوا فقط في الحركة السعودية بل ونشطوا أيضاً في فرعي البحرين والعراق. لا شك بأن الشيعة السعوديين «ساهمو تقريباً في جميع نشاطات حركة الرسالين الطلائع في مختلف أنحاء العالم»، في حين أن منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية لم تمنح عضويتها سوى للسعوديين^[1]. ومع تأثرهم بالروحانية الثورية التي كانت سائدة آنذاك في المنطقة، تلقى بعض السعوديين الشيعة التدريبات العسكرية في إيران، في حين أن البعض منهم انضم إلى الجناح العسكري لحركة الرسالين الطلائع في البحرين والعراق، وعدد آخر منهم حارب إلى الجانب الإيراني في أثناء الحرب الإيرانية العراقية وحتى في جنوب لبنان^[2]. والبعض من أولئك العسكريين انضم في ما بعد إلى حزب الله الحجاز، وهو الفرع السعودي من شبكة حزب الله العابرة للحدود والمتحالفة مع إيران.

أولت حركة الرسالين الطلائع القضية البحرينية الكثير من الاهتمام، في بلد يشكل الشيعة فيه غالبية السكان، فقد اعتقدوا بأن العمليات العسكرية قد تؤتي أكلها هناك، وقد تمثلت أكثر عملياتهم جرأة في قيادة محاولة انقلاب انكشف أمرها في كانون الأول 1981. حيث تمكن آنذاك مسلحو الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين من تهريب الأسلحة إلى داخل البحرين وكانوا يخططون للسيطرة على مراكز الشرطة والوزارات وإذاعات الراديو،^[3] وبالطبع، فإنه غالباً ما توجه أصابع الاتهام نحو إيران بشأن وقوفها خلف محاولة انقلاب عام 1981.^[4] من المرجح أن تكون قد أجريت عمليات بالتعاون مع عناصر من قوات الحرس الثوري الإيراني ولكن المنخرطين في

[1]- إبراهيم، الشيعيون (Shi'is)، ص. 134. أحد أعضاء فرع الحركة في البحرين، الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، كتب سيرته الذاتية حول الوقت الذي قضاه ناشطاً في صفوفها، حيث يشرح بالتفصيل التدريبات العسكرية التي تلقاها في إيران: البلاد، الانقلاب.

[2]- رسالة الحرمين، العدد 23 (1991)؛ رسالة الحرمين، العدد 44/43 (آب / أيلول 1993)؛ الثورة الإسلامية، العدد 85 (نيسان 1987)، ص. 56.

[3]- دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1981 - 82، ص. ص. 490 - 2.

[4]- حسن طارق الحسن، "The Role of Iran in the Failed Coup of 1981: The IFLB in Bahrain"، (الدور الإيراني في انقلاب عام 1981 الفاشل: الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين في البحرين) ذا ميدل إيست جورنال العدد 56، الرقم 4 (2011)، ص. ص. 603 - 17.

عملية الانقلاب أصروا على أنهم تصرفوا من دون علم المؤسسة السياسية الإيرانية في ذلك الوقت.^[1]

على الأثر تم إلقاء القبض على بضعة آلاف من عناصر الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين إلى جانب العديد من المناصرين لها، وفي العام 1982 تمت إدانة ثلاثة وسبعين منهم وهم كانوا في غالبيتهم من البحرين ولكنهم ضموا بعض السعوديين أيضًا الذين كانوا بمجملهم من الشباب البالغين أعوامهم العشرين وبأغلبهم من القادمين من مناطق تاروت والقطيف والصفوى وسيهات. وكان من ضمن المقبوض عليهم اثنان من آل سيف، وهما علي محمد تقي آل سيف ونادر محمد آل سيف. علمًا بأن المحتجزين السعوديين كانوا قد نقلوا إلى سجن في السعودية وحكم على غالبيتهم بالسجن على مدى خمسة عشر عامًا، على الرغم من أن ثلاثة من ضمنهم حصلوا على إطلاق سراح في خريف العام 1988.^[2] تسبّب هذا الحادث ولا سيما مع انخراط عدد من السعوديين في مجرياته في إثارة القلق لدى المسؤولين السعوديين. فبعد أن أعلن عن تأسيس مجلس التعاون الخليجي في أيار من العام 1981، والذي جاء بذاته، ولو جزئيًا، بمثابة ردّ فعلٍ على الثورة الإيرانية، رأت السعودية في هذه المؤامرة الانقلابية هجومًا على كافة دول مجلس التعاون الخليجي، وبالتالي فقد أبرمت المملكة العربية السعودية في العام 1981 اتفاقية أمنية مع البحرين وزادت من الإجراءات الأمنية في المنطقة الشرقية.^[3] ومع بدايات عام 1982 ألقت السلطات السعودية القبض على ثمانية وخمسين مناصرًا لمنظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة

[1]- مقابلة مع ناشط بحريني انخرط في محاولة انقلاب عام 1981، لندن، 2010.

[2]- حمادة، عاصفة، ص. 377 - 80. محاولة الانقلاب والمحاكمات حظيت أيضًا بتغطية من مجلة الثورة الإسلامية، ومنظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية نشرت تصريحًا تدين فيه المحاكمات. الثورة الإسلامية، العدد 23 (آذار 1982)، ص. 1 والصفحة التالية؛ العدد 24 (نيسان 1982)، ص. 9؛ العدد 32 (كانون الأول 1982) ص. 10.

[3]- الثورة الإسلامية، العدد 20 (كانون الأول 1981)، ص. 3؛ فروك هارد باي، Die Arabischen Golfstaaten im Zeichen der islamischen Revolution (دول الخليج العربي في ظل راية الثورة الإسلامية) (بون: أوروبا يونيون قيرلاغ، 1983) ص. 21 والصفحة التالية؛ مارشال، Iran's (إيران)، ص. 36؛ رايت، Sacred Rage (الغضب المقدس) ص. 160.

العربية،^[1] وعلى خلفية فشل الانقلاب الذي كان مقرراً في البحرين عمدت الغالبية ممن تبقى من عناصر الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين من بحرانيين وسعوديين إلى مغادرة البحرين والانضمام إلى صفوف حركة الرساليين الطلائع في إيران.^[2]

على الرغم من أن مثل هذه المنظمات العسكرية لم تنشأ على الأراضي السعودية، إلا أن السلطات الإيرانية لم تفتأ يوماً تحت حركة الرساليين الطلائع ومنظمة الجبهة الإسلامية في الجزيرة العربية على مضاعفة الجهود العسكرية في المملكة العربية السعودية، ولكن مع فشل الانتفاضة في العام 80/1979، رأت حركة الرساليين الطلائع أن لا طائل كبيراً من العمل العسكري في الحالة السعودية، وهي تدعي بأنها رفضت بعض المطالب بإجراء التفجيرات والاغتيالات في هذا البلد.^[3] عندئذ ارتأت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية صبّ تركيزها على طباعة المنشورات واستقطاب الأعضاء الجدد وتثقيفهم، وجمع التبرعات، وبناء الحركة الاجتماعية داخل المجتمع السعودي. وانطلاقاً من آذار من العام 1980 وصاعداً راحت تصدر شهرياً مجلة الثورة الإسلامية، والتي أخذت دور المنصة التي تلقي منها خطابها الثوري والنقدي في وجه الحكومة السعودية.^[4]

[1]- الثورة الإسلامية، العدد 24 (نيسان 1982). سرت الشائعات التي تقول بأن السلطات قد ألقت القبض أيضاً على بضع المئات غالبيتهم من المسلمين السنة في أوائل عام 1983 للاشتباه في محاولة تنظيم انقلاب بدعمٍ من إيران. مارشال، Iran's (إيران)، ص. 36 والصفحة التالية.

[2]- المديرس، الحركات؛ مجموعة الأزمات الدولية، Bahrain's Sectarian Challenge (التحدي الطائفي في البحرين) (2005)، ص. 11؛ فولير وفرانك، Arab Shi'a (الشيعة العرب) ص. 126، 134 والصفحة التالية؛ حمادة، عاصفة، إبراهيم، الشيعيون (Shi'is)، ص. 134؛ لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. 160؛ مارشال، Iran's (إيران)، ص. 36؛ فلاح المديرس، "Shi'ism and Political Protest in Bahrain" (المذهب الشيعي الاحتجاجات السياسية في البحرين)، دومز العدد 11 رقم 1 (ربيع 2002)؛ رمزاني "Shi'ism in the Persian Gulf" (المذهب الشيعي في الخليج الفارسي) ص. 49 - 51؛ رمزاني، Revolutionary (الثائرة)، ص. 50 - 3.

[3]- مقابلة مع أحد الأعضاء القياديين السابقين في حركة الرساليين الطلائع، دمشق، آب 2008. نُقل عن بعض المجموعات اليسارية قولها بأن منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية كانت تقف وراء عدد من التفجيرات في الخبر والدمام في العام 1980، ومع ذلك لا يمكن التأكد من صحة المعلومة بما أن المنظمة لم تقدم على تأكيد من جانبها. دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1980 - 1، ص. 737.

[4]- مقدمة مجلد مجلة الثورة الإسلامية، الأعداد من 8 حتى 36 (1983).

ضائعون في المنفى

قبل أن تطلق الانتفاضة شرارتها الأولى، كان عدد من الشييرازيين المنتشرين في الولايات المتحدة يوزعون الكتب والتسجيلات الصوتية لمحاضرات يلقيها واعظون شييرازيون، إنما بعد أن وضعت الانتفاضة أوزارها شكّلوا ما بات يُعرف فيما بعد باسم الإتحاد الإسلامي لطلبة الجزيرة العربية، والذي تمثل أولى نشاطاته السياسية في مظاهرة نظموها على مقربة من البيت الأبيض في واشنطن العاصمة في الذكرى الأولى للإنفاضة في تشرين الثاني عام 1980.^[1] ومن ثم بدأوا بإصدار صحيفة تدعى الحجاز، وفي هذه الخطوة، من إطلاق اسم «الحجاز» على المملكة العربية السعودية انعكاسٌ لرفض المعارضة الشيعية للعائلة الحاكمة آل سعود. وسرعان ما راحت نشاطات الشييرازيين تتوسع وتنتشر في أرجاء الولايات المتحدة.^[2]

أما منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية فقد عقدت هيئتها المركزية في شهر آذار من العام 1983 اجتماعها السنوي في دمشق وقررت أن تقوم شيئاً فشيئاً بنقل بعض نشاطاتها إلى خارج إيران حتى لا تكون المنظمة عرضةً للخطر في مهب التغييرات التي قد تطرأ على السياسات الإيرانية وعلى العلاقات السعودية الإيرانية. كما وقررت الهيئة المركزية أن تنقل بعضاً من نشاطاتها الصحفية والسياسية إلى لندن وأن تستخدم قبرص قاعدة للمراسلات التنظيمية التي تجريها مع أعضائها داخل المملكة العربية السعودية.^[3] ومع انعقاد الاجتماع في دمشق برز الدليل على أن نشاطات المنظمة بدأت بالفعل تنتقل رويداً رويداً إلى خارج إيران وإلى تحول الضاحية الدمشقية في منطقة السيدة زينب إلى مركزٍ انتقاليٍّ للسياسيين الشيعة.

أخذت منطقة السيدة زينب اسمها - وهي الواقعة على بعد ستة أميال عن وسط دمشق إلى الجهة الجنوب شرقية - من مرقد ابنة علي بن أبي طالب، الذي يعتبره الشيعة الإمام الأول. وفي العام 1975 كان حسن الشييرازي، شقيق محمد الشييرازي،

[1]- إبراهيم، الشيعةون (Shi'is)، ص. ص. 146 - 50؛ الثورة الإسلامية، العدد 9 (كانون الأول 1980) ص. ص. 3 - 5.

[2]- الثورة الإسلامية، العدد 44 (كانون الأول 1983) ص. ص. 11 - 13.

[3]- إبراهيم، الشيعةون (Shi'is)، ص. 145 والصفحة التالية.

أول من أسس مؤسسة تعليمية شيعية في منطقة السيدة زينب، عندما كانت المنطقة لا تزال ضاحية صغيرة على أطراف دمشق ولم يكن ضريح زينب قد رُمّم بعد. رَوّج حسن الشيرازي لفكرة التقارب بين الشيعة الاثني عشريين والعلويين، وهي واحدة من الأسباب التي جعلت النظام السوري يقبل بتأسيس مؤسسات شيعية في السيدة زينب، ففي العام 1973 كان موسى الصدر قد أعلن أن العلويين من دون شكّ ينتمون إلى الشيعة، وهي الخطوة التي راقّت لحافظ الأسد. وهذه الفكرة بذاتها شكّلت محوراً لإحدى المنشورات النقاشية التي نشرها حسن الشيرازي، الذي على ما يبدو خاط بذلك حبال التقارب نوعاً ما مع حافظ الأسد. أضف إلى ذلك، فقد لعب التنافر القائم بين نظامي البعث القائمين في كلّ من سوريا والعراق دوره؛ إذ أسهم في ترويج نشاطات بعض رموز المعارضة العراقية من أمثال حسن الشيرازي في سوريا، على الرغم من أن هذا الأخير لقي مصرعه مقتولاً في بيروت في أيار من عام 1980.^[1]

شكلت منطقة السيدة زينب بالنسبة إلى النشطاء في حركة الرساليين الطلائع المكان الأنسب لأن السفر إليها كان أسهل من السفر إلى إيران، إذ كانت المملكة العربية السعودية قد حظرت السفر إلى إيران على مدى سنواتٍ عدة تبعت الانتفاضة،^[2] وبالتالي فقد توجب على الشيعة السعوديين الراغبين في السفر إلى إيران السفر عن

[1]- لمزيد من المعلومات راجع أليساندرو كانسيان، 'La Hawza 'Ilmiyya: E la formazione dell' elite religiosa nei college teologici nello sciismo duodecimano: elementi dottrinali e indagine di campo (الحوزة العلمية: تشكيل النخبة الدينية في المدارس الدينية داخل المذهب الشيعي الاثني عشري: عناصر عقائدية ودراسة واقعية) (رسالة دكتوراه، جامعة الدراسات في سيينا، 2005)؛ مارتين كرايمر، "Syria's Alawis and Shi'ism" في "Shi'ism, Resistance, and Revolution" (المذهب الشيعي، المقاومة، والثورة)، تحرير مارتين كرايمر (بولدر، كولورادو: منشورات واستيفيل، 1987)، ص. ص. 237 - 54، 247 - 9؛ لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. ص. 196 - 8. صابرينا ميرفين، "Sayyida Zaynab, Banlieu de Damas ou nouvelle ville sainte"، (السيدة زينب ضاحية في دمشق أو مدينة مقدسة شيعية جديدة؟) دراسات حول حوض المتوسط الشرقي والعالم التركي الإيراني، عدد 22 (1996)، ص. ص. 149 - 62؛ خالد سندواوي، "The Shiite Turn in Syria" (التحول الشيعي في سوريا) كورينت تراند إن أسلاميست أيديولوجي، العدد 8 (23 حزيران 2009)، ص. ص. 82 - 107؛ إيفيت تالهامي، "The Fatwas and the Nusayri" (الفتاوى والنصيرية / العلوية في سوريا)، ميدل إيسترن ستادسز، العدد 46، رقم 2 (2010) ص. ص. 175 - 94؛ وييلي، Islamic (الإسلامي)، ص. 78. راجع أيضاً الموقع الإلكتروني للحوزة الزينية <http://alhawzaonline.com/neshatat/about.php>.

[2]- الثورة الإسلامية، العدد 23 (آذار 1982) ص. 10.

طريق بلد ثالث من دون أن يتم ختم جوازات سفرهم. كما وكانت دمشق لا تزال تستضيف آنذاك بعض رموز الحزب الشيوعي في السعودية الذين كان العديد منهم من الشيعة. دون أن ننسى أن مجموعات المعارضة السعودية هذه لم تكن بمنأى عن التقلبات الطارئة على العلاقات السعودية السورية، إذ إن المملكة العربية السعودية غضت الطرف عن تأمين سوريا القاعدة الآمنة لنشطاء المعارضة السعودية في مقابل أن تقبل سوريا بأن تجمع السعودية التبرعات لجماعة الإخوان المسلمين السوريين، أما في أعقاب العام 1990 فقد راحت العلاقات بين هذين البلدين بالاستقرار شيئاً فشيئاً.^[1] وقد ظلت الحوزة الزينية التابعة للشيرازيين المؤسسة التعليمية الدينية الأبرز في منطقة السيدة زينب، ومع ذلك فالجناح السياسي التابع للحركة الشيرازية أو حركة الرساليين الطلائع افتتح حوزته الخاصة في منطقة السيدة زينب في العام 1983، حوزة الصادق، وأسس عددًا من الحسينيات. في العام 1989 أغلقت حوزة القائم أبوابها في طهران وانتقل مركزها إلى منطقة السيدة زينب في مبنى حوزة الصادق التي أعيد تسميتها حوزة القائم في العام 1995.^[2] ظلت حوزة الصادق خاضعةً بصورة رئيسية لإشراف رجال الدين الشيعة السعوديين وبالتالي فقد تحولت إلى مركز الثقل للسعوديين المنتمين إلى حركة الرساليين الطلائع، وكذلك بالنسبة إلى الطلاب السعوديين والزوار والأعضاء الجدد.^[3]

في حين كانت فيه منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية تنقل قاعدتها التشغيلية إلى خارج إيران، راحت تصدر المنشورات باضطراد في كلٍّ من بيروت ودمشق ولندن. وفي منتصف أعوام الثمانينيات، أسس أعضاء هذه المنظمة دارًا للنشر في لندن، دار الصفاء، التي صار منذ ذلك الحين يصدر منشورات الحركة إلى جانب

[1]- سونوكو سونايا، Syria and Saudi Arabia: Collaboration and Conflicts in the Oil Era (سوريا والمملكة العربية السعودية: تعاون وصراعات في زمن النفط) (لندن: أي بي توريس للدراسات الأكاديمية، 2007)، ص. 92 والصفحة التالية.

[2]- المشيخص، القطيف، المجلد الأول، ص. 497 - 500.

[3]- المشرفون على الحوزة كانوا محمد الحبيب، محمد العلويات، محمود آل سيف، عبد اللطيف الشبيب، نمر النمر، علي هلال الصيود. المصدر السابق ص. 501 والصفحة التالية.

الدراسات عن السياسة والتاريخ السعوديين،^[1] في حين أن أعضاء آخرين من حركة الرساليين الطلائع بما في ذلك أعضاء الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين لجؤوا إلى لندن أيضًا.^[2] على مدى عقد الثمانينيات استمرت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية بنشر الكتيبات المقتضبة التي تتضمن خطب الصفار، حيث سعت المجموعة التي طبعت تحت عنوان الثقافة للجميع أن تعيد تقديم المذهب الشيعي من وجهة نظر ثورية من خلال التشديد على أهمية الثورات التي يقوم بها المستضعفون.^[3] قامت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية بنشر برنامجين حزبيين أعلنت في كليهما أن الحكومة السعودية فاقدة للشرعية،^[4] حتى أن هذه المنظمة سعت إلى التقليل من شأن المملكة العربية السعودية في العالم العربي الأوسع، على سبيل المثال من خلال الإضاءة على أسلوب النفاق الذي تعتمده سياسات الحكومة السعودية تجاه القضية الفلسطينية.^[5] وعلى هذا المنوال، حافظت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية في خطبها ومنشوراتها على لهجة لا هواة فيها تجاه المملكة العربية السعودية حتى أواخر أعوام الثمانينيات. في المبدأ يمكننا القول بأنه كان بإمكانها استخدام العنف كأحد أدواتها ولكن حجتها في ذلك أن الشيعة السعوديين لم يكونوا مستعدين لهذه الخطوة بعد.^[6]

المرأة الرسالية

على الرغم من أن النساء لم يصلن إلى المراكز القيادية في حركة الرساليين

[1]- إبراهيم، الشيعةون (Shi'is)، ص. 144.

[2]- في تموز من العام 1985 تم ترحيل ثمانية أعضاء من الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين من ضمنهم سعودي واحد من المملكة المتحدة إلى سوريا. دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1984 - 85، ص. 154

[3]- حسن الصفار، الجماهير والثورة (القطيف: الناشر غير مذكور، 1981).

[4]- الأمير، الحركة؛ كلمة الحركة الإسلامية في الجزيرة العربية (مكان النشر غير مذكور: منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، 1986).

[5]- عبد الرحمن الشيخ، المسألة الفلسطينية في المنظار السعودي (مكان النشر غير مذكور: منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، 1982).

[6]- مقابلة مع أحد الأعضاء القيايين السابقين في حركة الرساليين الطلائع، دمشق، آب 2008؛ إبراهيم، الشيعةون (Shi'is)، ص. 129.

الطلّاع، إلا أنّهن لعبن الدور الريادي البارز على مستوى القاعدة الشعبية وفي عملية تثقيف الحركة، حيث كان المثال الأعلى المحتذى لدى النساء هو دور المرأة الرسالية،^[1] التي يُفترض بها أن تلتزم التزامًا تامًا بالقيم الإسلامية من دون أن يمنعها ذلك من المشاركة في الحياة الاجتماعية.^[2] وبعد أن كان عدد من النساء قد شاركن في الانتفاضة، انتقلت نساءً كثيرًا إلى طهران من أجل الدراسة في حوزة القائم، حيث كنّ في أغلبهن من الشابات المراهقات غير المتزوجات واللاتي لهن أقارب يدرسون في الحوزة، وهو الحدث الذي كان لا سابق له في المجتمع الشيعي السعودي وبالتالي فقد تعرض للإنتقاد من قبل العديد من المحافظين، بيد أن بعض الناشطات يتذكرن تلك الفترة على اعتبار أنها كانت عهد تمكين المرأة.^[3] فعدا عن المواد الحوزوية التقليدية كانت النساء يتلقين العلوم في مجالات السياسة والعلوم الاجتماعية والتاريخ. كانت أروقة الحوزة في طهران تحتضن ما يقارب المئة طالبة من غير المتزوجات، في أغلبهن من السعوديات ولكن أيضًا من جنسيات أخرى مثال البحرانيات والعراقيات والكويتيات والأفريقيات؛ وهن لم يردن مجرد تحويل المجتمع نحو المزيد من التدين لا وبل أردن أيضًا تغيير مكانة المرأة والشيعية عامة داخل المنظومة. وبطبيعة الحال فقد اقترن العديد من أولئك النسوة برجال ينتمون أيضًا إلى الحركة، كما ونذكر ما يقارب العشرين سيدة سعودية ممن رافقن أزواجهن إلى قم، إلا أن الحوزة هناك لم تكن تفتح أبوابها أمام النساء.

وبذلك فإن البنية النواة التي قامت على الحركة النسائية داخل المملكة العربية السعودية في أواخر عقد السبعينيات حافظت على نمطها حيث عمدت الناشطات إلى تثقيف غيرهن من النساء ونسخ المنشورات والملصقات الشيرازية ونشر الأدبيات

[1]- الثورة الإسلامية، العدد 28 (آب 1982) ص. 12.

[2]- راجع على سبيل المثال مقال "Muslim Women in America" (النساء المسلمات في أمريكا) في الثورة الإسلامية، العدد 28 (آب 1982)، ص. 11 والصفحة التالية. راجع أيضًا إبراهيم، الشيعيون (Shi'is)، ص. 131؛ هادي المدرسي، حوار عن المرأة (بيروت: دار التعارف، 1978)؛ حسن الصفار، المرأة مسؤولية وموقف، الطبعة الثانية (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1981).

[3]- مقابلة مع سيدات ناشطات في منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، المنطقة الشرقية، تشرين الأول 2008.

والأخلاقيات الإسلامية عامةً. مع بداية عقد الثمانينيات بات من المؤلف أن نرى الشبان من الذكور ورجال الدين يلتقون مع مجموعات من النساء، وأن نجد السيدات السعوديات اللاتي عدن إلى الديار من الخارج يلقين العظات والمحاضرات أمام السيدات.^[1] حتى أن البعض منهن من أمثال عليّة مكي الفريد ومكية عبد الله حمدان قد ألقى القبض عليهن في منتصف أعوام الثمانينيات، في حين أن باقي النساء عمدن إلى نشر التصاريح باسم رابطة المسلمات في الجزيرة العربية.^[2] أما الفرع في العراق، منظمة العمل الإسلامي، فلم يكن بمنأى عن المستجدات إذ أطلق جناحاً نسائياً أسماه رابطة المجاهدات المسلمات في العراق.^[3]

لا بدّ أن نذكر بأن النساء أيضاً عانين من الاضطهاد، فلقد كتبت عليّة الفريد كتاباً تروي فيه الوقت الذي قضته في السجون والذي تحولت معه ربما إلى أكثر النساء الشيرازيات الناشطات والكاتبات إثارةً للجدل داخل المملكة العربية السعودية.^[4] أما في إيران فلقد كانت القيود مفروضة على النشاطات النسائية، وبالتالي فإن النساء لم يقدرن أن يصدرن منشوراتهن إلا بعد الانتقال إلى سوريا في أواخر عقد الثمانينيات، حيث بدأن إصدار مجلتين؛ إحداهما كانت الزهرة، والتي انطلقت بين عامي 1990 و1991 وذلك على مدى عامٍ واحدٍ، والأخرى فهي مجلة عفاف التي كانت تصدر بصورة شهرية واستمرت على مدى خمسة أعوام حتى عام 1993/4. لم تتطرق المجلة إلى المواضيع السياسية في صفحاتها ولا حتى حرّضت على الخطاب الطائفي إنما ركزت بصورة عامة على «المرأة المسلمة» و«العائلة المسلمة» و«الطفل المسلم»، كما وقدّمت المقالات التي تعنى بمجالات الصحة والأمومة والزواج والثقافة والدين.^[5]

[1]- مقابلة مع سيدات ناشطات في منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، المنطقة الشرقية، تشرين الأول 2008.

[2]- الثورة الإسلامية، العدد 78 (أيلول 1986)، ص. 11.

[3]- ولي، Islamic (الإسلامي)، ص. 164.

[4]- للاطلاع أكثر على دور المرأة داخل منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية راجع إبراهيم، الشيعة (Shi'is)، ص. ص. 131، 139؛ عليّة مكي، يوميات امرأة في السجون السعودية (لندن: الصفا، 1989)، ص. ص. 9 - 19.

[5]- مقابلة مع سيدات ناشطات في منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، المنطقة الشرقية، تشرين الأول 2008.

وصول الحاكم الجديد وانكفاء التيار اليساري

في تلك الأثناء كانت التطورات التي تطرأ داخل العائلة المالكة تُحدث تغييراتٍ، ولو جزئية، على الأوضاع في المنطقة الشرقية، فعلى أثر وفاة الملك خالد في حزيران من العام 1982، جلس فهد على عرش المملكة وأصبح عبد الله ولي عهده. ولقد أراد الملك فهد آنذاك أن يخفف من حدة التوتر داخل المنطقة الشرقية، وهو الذي كان من قبل وفي أعقاب الانتفاضة قد أوعز إلى الأمير أحمد بن عبد العزيز أن يشكّل لجنة تكون مهمتها مراقبة التطورات التي تجري في المناطق الشيعية، ولقد أصبح فهد بنفسه رئيساً لهذه اللجنة في حين أن أحمد تولى منصب إدارتها، وهي الخطوة التي اعتبرت بمثابة تمهيدٍ نحو تعيين أحمد في منصب حاكم المنطقة الشرقية بين عامي 1984 / 5، خلفاً لعبد المحسن بن جلوي^[1] الذي كان يتولى منصب حاكم المنطقة الشرقية منذ وفاة سعود بن جلوي في العام 1967.^[2] أدخل محمد بن فهد العديد من التعديلات على الأنظمة في المناطق التي يقطنها الشيعة، كما وتم إطلاق سراح جميع السعوديين الشيعة المعتقلين منذ عام 1979 عند توليه الحكم،^[3] حتى أنه بات ينظم اللقاءات مع أعيان الشيعة بصورة دورية أكثر من سلفه في معرض سعيه إلى كسب ودّ المزيد من طبقة النخبة الشيعية الجديدة والطلاب الشيعة.^[4]

وبطريقةٍ ما فإن هذه التعديلات حملت حسن الصفار إلى أن يقترح في العام 1985 على منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية في أثناء انعقاد اللجنة

[1]- دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1976 - 7، ص. ص. 565 - 7؛ دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1979 - 80، ص. 697؛ سايمور، Royal (الملكية)، ص. 465 والصفحة التالية.

[2]- عبير، Saudi Arabia in the Oil Era (المملكة العربية السعودية في زمن النفط)، ص. ص. 187، 190 والصفحة التالية؛ آل سعود، الأمير عبد الله، ص. ص. 79 - 83؛ الرشيد، A History (تاريخ) ص. 73؛ كوردسمان، Saudi Arabia (المملكة العربية السعودية) ص. 207 والصفحة التالية؛ كاشيشيات، Succession (خلافة) ص. ص. 29، 34؛ www.easternemara.gov.sa/start.asp

[3]- إبراهيم، الشيعيون (Shi'is)، ص. 135؛ لايسي Inside (من الداخل) ص. 99.

[4]- عبير، Saudi Arabia in the Oil Era (المملكة العربية السعودية في زمن النفط)، ص. 190 والصفحة التالية.

المركزية في دمشق بأن يتم منح المنظمة اسمًا جديدًا يكون أكثر اعتدالاً (فاسمها لا يزال يدعو إلى قيام الثورة الإسلامية). وافق الكثير من أعضاء اللجنة على هذا الاقتراح ولكن لم يتم اتخاذ أي قرار في هذا الصدد خوفًا من أن خطوة كهذه من شأنها أن تثير حفيظة حركة الرساليين الطلائع والخلايا الأخرى في البلاد.^[1] وعلى الرغم من كل ما سبق فليس من المناسب، لا وبل من المبالغة، القول بأن حدة التوترات قد خفت على نحوٍ لافتٍ ما بين الشيعة والسلطات الرسمية في النصف الثاني من عقد الثمانينيات. فالمشروع الذي اقترح مواءمة منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية لكي تصبح قوةً أكثر اعتدالاً لم يعد كونه مجرد فكرة طرحها البعض من قياديي المنظمة ولم يكن قد تجلّى بعدُ في التصريحات الصادرة عنها، وفي المقابل أيضًا استمرت الدولة في فرض الرقابة الصارمة على مناطق إقامة الشيعة، حيث إنه لم تنتصف سنوات الثمانينيات حتى كانت هيئة الشرطة الدينية معها تزيد من إدانتها ومحاكمتها للممارسات الشعائرية الشيعية في المنطقة الشرقية^[2]، وفي الفترة الممتدة ما بين عامي 1982 ومنتصف 1984 كان المئات من مناصري منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية يرزحون تحت الاعتقال، مع أن نشاطاتهم داخل المملكة العربية السعودية كانت تقتصر على توزيع المنشورات الصادرة عن الحركة وكتابات الغرافيتي على جدران الشوارع وجمع التبرعات.^[3] في الواقع فإن أية محاولات للتنقل بأعداد كبيرة، على سبيل المظاهرات في القطيف وصفوى وسيهات في أثناء عاشوراء من العام 1985، سرعان ما كانت تجابه بالقمع على يد القوى الأمنية التي أوقفت آنذاك أعدادًا كبيرة.^[4]

ظل الوضع في العام 1982 وبداية 1983 على ما هو عليه، إذ كان العديد من أعضاء حزب العمل والحزب الشيوعي رهن الاعتقال، إذ إن هاتين المنظمتين لم تكونا قد

[1]- إبراهيم، الشيعةون (Shi'is)، ص. 141.

[2]- عبيد، Saudi Arabia in the Oil Era (المملكة العربية السعودية في زمن النفط)، ص. 192.

[3]- إبراهيم، الشيعةون (Shi'is)، ص. 135 والصفحة التالية.

[4]- راجع إدانة محمد تقي المدرسي لهذه الاعتقالات في الثورة الإسلامية، العدد 67 (تشرين الثاني 1985).

أخفتنا من وهج نشاطاتهما منذ انتهاء الانتفاضة،^[1] مع أن البعض من كوادر حزب العمل كان قد غادر المملكة العربية السعودية على أثر الانتفاضة ومن ثم في العام 1981 وطدوا العلاقات في المنفى مع الحزب الشيوعي والجبهة الشعبية في البحرين ذات التوجه الشبه شيوعي.^[2] ولقد استمر حزب العمل في إصدار مجلته المسيرة من العام 1975 حتى 1984، ذلك إلى جانب نشر العديد من الكتب التي تعالج مسائل الطبقة العاملة والسياسات النفطية، حتى أنه لم ينس المرأة إذ انتقد الظروف الصعبة المحيطة بها داخل البلاد.^[3] علماً بأن بعض القياديين في حزب العمل والحزب الشيوعي كانوا يعملون في صحيفة اليوم التي كانت تصدر في الدمام، والتي تحولت إصداراتها الأدبية التي كانت تصدر في ملحق أسبوعي إلى نقطة تحول في حياة الكتاب الشباب من اليساريين، تماماً كما كان حال غيرها من الملحقات الصادرة عن الصحف السعودية الأخرى.^[4] ولكن في شهر أيار من العام 1982 تم وقف نشر صحيفة اليوم واعتقال المحررين محمد العلي وعلي الدميني، بالموازاة تم أيضاً القبض على كل من صالح العزاز، وهو مدير التحرير السابق في الصحيفة، إلى جانب العشرات غيره من أعضاء حزب العمل. في وقت لاحق من العام 1983 أطلق سراح العديد منهم في إطار عفو عام صدر بعد التعهد بترك العمل السياسي ولكن البعض منهم ظل ممنوعاً من الكتابة والسفر وتولي الوظائف الحكومية أيضاً.^[5] ومن ثم في

[1]- حمزة الحسن، The Role of Religion in Building National Identity: Case Study: Saudi Arabia (دور الدين في بناء الهوية الوطنية: دراسة حالة: المملكة العربية السعودية) (رسالة دكتوراه، جامعة واسطمينستر، 2006) ص. 311؛ إبراهيم، الشيعة (Shi'is)، ص. 136؛ دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1982 - 83، ص. 746 والصفحة التالية.

[2]- "Saudi Opposition: We Are Rebuilding Our Organization" (المعارضة السعودية: نعيد هيكلة تنظيمنا)، تقرير مشروع أبحاث ومعلومات الشرق الأوسط MERIP، العدد 130، (شباط 1895) ص. ص. 15 - 18.

[3]- المسيرة، العدد 10 (حزيران 1980)؛ حزب العمل الاشتراكي العربي في الجزيرة العربية، النفط والمجتمع في الجزيرة العربية «السعودية»، (مكان النشر غير مذكور: الدار اللبنانية، 1984)؛ العطري: التنظيمات، ص. ص. 116 - 26؛ الحسن، «المعارضة».

[4]- لاكروا Awakening (الصحو)، ص. ص. 15 - 20.

[5]- المقال 19، Silent Kingdom: Freedom of Expression in Saudi Arabia (المملكة الصامتة: حرية التعبير في المملكة العربية السعودية)، تشرين الأول 1991، ص. 23 والصفحة التالية.

العام 1988 تم إلقاء القبض على ستة من عناصر حزب العمل في منطقة صفوى، وهم منتمون إلى طبقة التكنوقراط، أربعة منهم موظفون في أرامكو.^[1]

أضف أنه مع عقد الثمانينيات بدأت الأحزاب اليسارية تفقد بريقها في أوساط العامة، ففي حين كان العديد من المفكرين والنخبويين يميل في السابق نحو الأفكار اليسارية، فإن منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية كانت تشق طريقها نحو الخريجين الجامعيين والطبقة البرجوازية، لا سيما وأن منشوراتها استطاعت تثبيت قدمها. على طول سنوات الثمانينيات ساحت الفرصة أمام كل من الحزب الشيوعي وحزب العمل ومنظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية لكي يتعرفوا على بعضهم البعض بصورة أقوى، حيث أن العديد من أعضاء هذه المنظمات كانوا يقعون معاً في الزنانات نفسها داخل السجون السعودية، في حين إن أعضاء آخرين تشاركوا المنفى نفسه في دمشق. وبالتالي وعلى الرغم من بعض السجلات التي كانت تنشب بين الفينة والأخرى فإن هذه التجربة قادت كلاً من الحزب الشيوعي وحزب العمل إلى التلفت إلى أهمية الدعوى إلى إنشاء جبهة ديمقراطية تكون على مستوى الوطن.^[2]

ومع قدوم العام 1985 جرت موجة جديدة من الاعتقالات والتي أدت إلى شردمة ما يقارب جميع الهيئة التنظيمية الداخلية في منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، وبناءً عليه فقد اتخذ أعضاء المنظمة قرار إعادة التفكير في استراتيجيتهم السياسية، حتى أن البعض منهم انسحب كلياً من العمل السياسي، وقد تمثلت الضربة الأقسى التي أضعفت أكثر فأكثر منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية

[1]- منظمة العفو الدولية، Saudi Arabia: Detention without Trial of suspected Political Opponents (المملكة العربية السعودية: التوقيف من دون محاكمات بحق شخصيات سياسية مشتبها بها) (لندن: 1990)؛ هيومن رايتس واتش، Empty Reforms: Saudi Arabia's New Basic Laws (الإصلاحات الواهية: القوانين الأساسية الجديدة في المملكة العربية السعودية) (نيويورك: 1992).

[2]- طريق الكادحين العدد 36 (أيار 1987)، اقتباس وارد في الثورة الإسلامية، العدد 92 (تشرين الثاني 1987)، ص. 40 والصفحة التالية؛ المسيرة، العدد 11 (تشرين الثاني 1980)، اقتباس وارد في مقال العسكري، التنظيمات، ص. 218. راجع أيضاً مقابلة مشتركة أجريت مع ممثلين عن الحزب الشيوعي وحزب العمل في صحيفة شرق ألمانية "Die Königsmacht mit dem Schwert" (الحزب الشيوعي وحزب العمل في صحيفة شرق ألمانية) "erhalten: Gespräch mit Führern des saudischen Widerstands" (السلطات الملكية واستخدام القوة: حديث مع معارضين سعوديين) إي أي بي العدد 10 / 1984، إي أي بي العدد 12/11 1984، الأستاذ الدكتور غيرهارد هوب، توقيع 10.15.085، زانثروم مودرنير أورينت، برلين، ألمانيا.

في خروج مجموعة من حركة الرسالين الطلائع السعوديين الذين طالبوا بتبني نظرية الخميني المتمثلة في ولاية الفقيه ومرجعيته. هذه المجموعة كانت قد انشقت عن حركة الرسالين الطلائع ومن ثم شكلت في العام 1987 النواة الأساسية لحزب الله الحجاز، حيث وقفت «حادثة الحج» التي جرت في العام 1987 وما نجم عنها من سجلات بين المملكة العربية السعودية وإيران، خلف إنشاء هذا الحزب.^[1]

الحج والتوتر السعودي الإيراني

كان بعض المفكرين والقادة في الثورة الإيرانية من أمثال علي شريعتي وروح الله الخميني قد سعوا إلى إعادة تقديم الحج من وجهة نظر سياسية، فمنذ العام 1971 تقريباً، كان مناصرو الخميني قد بدأوا يروجون للبروباغندا المناهضة لكل من الشاه وإسرائيل وأمريكا في خلال موسم الحج،^[2] في حين أنه وبعد الثورة عملت إيران على استخدام موسم الحج لكي تقدّم نفسها على أنها المدافع عن القضية الإسلامية، من خلال التأكيد على طلبها بأنه يجب أن يتم وضع مرافق الحج والأماكن المقدسة تحت المراقبة الدولية وعلى أنها تعارض إدارة السعودية لهذه المرافق لوحدها، وعليه فقد تحوّل موسم الحج إلى نقطة محورية في إطار التوترات السعودية الإيرانية في سنوات الثمانينيات، حتى أن الأمر كان له تأثيره أيضاً على الجماعات الشيعية المعارضة في المملكة العربية السعودية.^[3]

يُعتبر الحج عاملاً أساسياً لجهة أنه يضفي الشرعية على العائلة الحاكمة في السعودية - وهو ما يتمثل في الخطوة التي اتخذها الملك فهد من اعتماد لقب

[1]- إبراهيم، الشيعيون (Shi'is)، ص. 137 والصفحة التالية؛ ماتهاينسن، "Hizbullah" (حزب الله)، ص. 183 - 5.

[2]- مارتن كرايمر، Arab Awakening and Islamic Revival: The Politics of Ideas in the Middle East (الصحوّة العربية والنهضة الإسلامية: سياسة المعتقدات في الشرق الأوسط) (نيو برونسويك، نيو جيرسي: ترانساكشن، 1996) ص. 166 والصفحة التالية؛ علي شريعتي، Hajj (الحج) (بيدفورد، أوهايو: فري إسلاميك ليتريتشير، 1997).

[3]- صالح المانع، "The Ideological Dimension in Saudi - Iranian Relations" (البعد الأيديولوجي في العلاقات السعودية الإيرانية) في Iran and the Gulf; A Search for Stability (إيران والخليج: البحث عن الاستقرار)، تحرير جمال س. السويدا (أبو ظبي: المركز الإماراتي للدراسات الاستراتيجية والأبحاث، 1996) ص. 158 - 74.

خادم الحرمين الشريفين في العام 1986 - وعليه فلقد جاء ردّ الحكومة السعودية على هذه الاضطرابات التي أثّرت بالكثير من السخط.^[1] ولقد جاءت أولى الاحتجاجات والتصادمات الواسعة النطاق بين الحجاج الشيعة والشرطة السعودية في العام 1981 ولم تفتأ تتصاعد حتى وصلت إلى ذروتها في موسم الحج في العام 1987 عند وقوع الحوادث المميتة، ولكن في العادة كانت تلك الاحتجاجات تضم الإيرانيين فقط وما من أدلة دامغة تؤكد اضطلاع الشيعة السعوديين فيها.^[2] ولكن لا ننسى بأن منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية كانت تصدر الرسائل السنوية الموجهة إلى الحجاج على مدى أعوام الثمانينيات تصف فيها الحكم في السعودية على أنه غير إسلامي وتحثُّ كذلك الحجاج على الوقوف في وجهه.^[3] حينذاك عمد الخميني إلى تعيين محمد موسوي خوئينيها باعتباره ممثله في الحج، وهو الذي كان على رأس الطلاب الذين اقترحوا السفارة الأميركية في طهران.^[4]

ومع اشتعال فتيل الحرب الإيرانية العراقية في العام 1980، باتت زيارة العتبات المقدسة الشيعية في العراق مهمة شبه مستحيلة بالنسبة إلى الإيرانيين وغيرهم من الشيعة وبالتالي فقد أصبح الحج إلى مكة وزيارة مقبرة البقيع في المدينة، بالإضافة إلى مرقد السيدة زينب في سوريا أمراً أكثر إلحاحاً، وفي العام 1982 اختار الخميني

[1]- ج. بيسكاتوري، "Managing God's Guests: The Pilgrimage, Saudi Arabia and the Politics of Legitimacy" (تولي شؤون ضيوف الله: الحج والسعودية وسياسة الشرعية) في Nations: Globalisation and Identity in the Arab States of the Gulf (الملكيّات والأمم: العولمة والهوية في الدول العربية في الخليج)، تحرير ب. دريش وج. بيسكاتوري (لندن: أي بي تورييس، 2005)، ص. 222 - 45.

[2]- إصدارات منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية تشير إلى اعتقال العديد من الإيرانيين وأعضاء غير مذكورة أسماؤهم من منظمة العمل الإسلامي في العام 1980 في مكة: الثورة الإسلامية العدد 8 (1980). للاطلاع على المزيد من التفاصيل حول الاضطرابات التي جرت في موسم الحج راجع كرايمر، Arab Awakening (الصحوّة العربيّة)، ص. 161 - 87؛ لوفورييه، "L'Arabie Saudite" (المملكة العربية السعودية) ص. 222 - 45.

[3]- الثورة الإسلامية، العدد 16 (آب 1981)، ص. 2 - 5؛ الثورة الإسلامية، العدد 41 (أيلول 1983)، ص. 21 - 3؛ خدمة بث المعلومات الأجنبية 9، FBIS، أيلول 1982؛ إبراهيم، الشيعة (Shi'is)، ص. 111.

[4]- دان، "Until the Imam Comes" (حتى يعود الإمام)، ص. 47؛ كرايمر، Arab Awakening (الصحوّة العربيّة)، ص. 167 والصفحة التالية.

مقبرة البقيع كموقعٍ لاحتضان العديد من التظاهرات، حيث تأتي أهمية البقيع من كون ترابها يحتضن العديد من الرموز الإسلامية التاريخية، وتحتل هذه الرقعة المكانة الخاصة عند المسلمين الشيعة على وجه الخصوص لأنهم يعتقدون بأن أربعة من الذين يعتبرونهم أئمة أو خلفاء النبي محمد مدفونون تحت ترابها. ولكن في العام 1926 قامت السلطات السعودية بهدم الأضرحة التي كانت تقوم فوق مراقد الأئمة وبات من المحظور على الشيعة أن ينظموا الزيارات إلى المقبرة حتى أعوام الثمانينيات.^[1]

لطالما احتلت البقيع إلى جانب المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة الأهمية الرفيعة في خطاب منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية: فالمجلة التي كانت تنشرها باللغة الفارسية وهي التي تصدر عن جماعة العلماء المجاهدين في الجزيرة العربية كانت تدعى البقيع،^[2] في حين أن منشورات أخرى كانت تدعى الحرمين ونداء مكة. أما الجناح الخاص بالإنتاج الثقافي والذي تأسس في العام 1987 بهدف جمع المستندات والمخطوطات التي تؤرخ الوجود الشيعي في السعودية فقد أطلق عليه اسم مؤسسة البقيع لإحياء التراث. وبالتالي فمن البديهي أن تكون حادثة هدم الأضرحة فوق مراقد الأئمة في المدينة المنورة قد شكلت موضوعاً خصباً للعديد من المقالات^[3] والكتب التي صدرت عن هذه المؤسسة.^[4] كانت المؤسسة قد افتتحت لها مكتباً يقع فوق حسينية الزهراء في السيدة زينب، حيث

[1]- المرجع السابق، ص. 169 والصفحة التالية؛ ويرنير أند، "Steine des Anstoßes: Das Mausoleum der Ahl al-bayt in Medina" (حجر العثرة: أضرحة أهل البيت في المدينة المنورة) في Differenz und Dynamik im Islam: Festschrift für Heinz Halm zum 70 (الاختلاف والديناميكية في الإسلام: كتابات تذكارية لهانس هالم في عيده السبعين)، تحرير هـ. بيستيرفالت وف. كليم (ويرزبيرغ: أرغون فيرلاغ، 2012)، ص. ص. 181 - 200.

[2]- راجع الثورة الإسلامية العدد 96 (شباط 1988)، ص. 30، للحصول على لائحة بالمحتويات. كان نشاط مجلة البقيع يعتمد بشكل أساسي على ترجمة المقالات التي تصدر في المنشورات الأخرى عن حركة الرساليين الطلائع، وكان محرروها من الشيعة السعوديين، وظلت قيد النشر من العام 1987 تقريباً حتى 3 / 1992.

[3]- الثورة الإسلامية، العدد 100 (تموز 1988) ص. ص. 15 - 22.

[4]- يوسف الهاجري، البقيع: قصة تدمير آل سعود للأثار الإسلامية في الحجاز، (بيروت: مؤسسة البقيع لإحياء التراث، 1990).

نشطت في جمع المستندات التي تؤرخ الإرث الشيعي. عند دخولك الحسينية كانت تطالعك الصور للعلماء الشيعة المتوفين من الاحساء والقطيف.^[1]

شهدت الفترة الممتدة بين العامين 1983 و1986 خفوتاً ولو طفيفاً في حدة التوترات في أثناء مواسم الحج المتعاقبة، وقد شهد العام 1985 استبدال خوئنيها في منصب ممثل الحج بخلفه مهدي كروبي بعد أن تم تعيين ذلك الأول مدعياً عاماً في إيران، ومع ذلك فقد حافظ على لهجته الراضية تجاه السياسات السعودية المتعلقة بالحج، وهو ما يتجلى في مقابلة أجراها مع مجلة الثورة الإسلامية التابعة لمنظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية.^[2] وفي شهر أيار من العام نفسه زار وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل طهران ولم ينته عام 1985 إلا وكان وزير الخارجية الإيراني علي أكبر ولايتي قد ردّ الزيارة إلى الرياض.^[3] أضف إلى ذلك أن أولى محاولات إجراء حوار بين منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية والسلطات السعودية كانت قد جرت في أواخر عام 1983 وبدايات عام 1984. أما في أعقاب انتقال مجموعات المعارضة السعودية للإقامة في منطقة السيدة زينب، فقد التقى توفيق آل سيف وغيره من القادة مع السفير السعودي إلى سوريا أحمد الكحيمي في دمشق.^[4] يقول آل سيف بأن كلي الفريقين كانا متفاجئين بصورة إيجابية تجاه هذا اللقاء حتى أن الناشطين توقفوا عن استخدام اللهجة التصعيدية في خطاباتهم ومقالاتهم. وعلى الرغم من أن الكحيمي على ما يبدو نصح الحكومة بضرورة إيجاد حلٍّ إلا أن المحادثات لم تفُض إلى أيه نتيجة.^[5]

ثم جاء العام 1986 وحمل معه لقاءً جديداً انعقد في دمشق بين توفيق آل سيف إلى جانب ثلاثة من الوجهاء الشيعة، وهم: عبد الحميد المطوع، سلمان الناصر،

[1]- اللباد، الانقلاب، ص. 350 والصفحة التالية.

[2]- الثورة الإسلامية العدد 65 (أيلول 1985)، ص. ص. 40 - 4.

[3]- فورتيغ، Iran's Rivalry (الصراع الإيراني)، ص. 47.

[4]- رياض نجيب الريس، رياح السموم: السعودية ودول الجزيرة بعد حرب الخليج، 1991 - 1994، ص. 209.

[5]- مقابلة مع توفيق آل سيف، المنطقة الشرقية، تشرين الثاني 2008.

عبد الكريم الحمود، حيث قدّموا اقتراحًا عرضه محمد بن فهد يكفل لهم من خلاله العفو العام لأعضاء منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية إذا ما أوقفوا نهائيًا جميع نشاطاتهم المعارضة، ولكن المنظمة رفضت هذا الاقتراح لأنه لم يشتمل في بنوده على المطالب الدينية والاجتماعية والاقتصادية للشيعه.^[1] ولكن في العلن كانت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية تدين كل شكلٍ من أشكال محاولات الحوار مع الحكومة، متذرعًا في ذلك بأنه يجب أن يكون للشعب الحق في اختيار حكومته،^[2] وهي التي حافظت على خطابٍ مناصرٍ لإيران، لدرجة أنها أصدرت بيان إدانة تشجب فيه الخطوة التي أقدمت عليها المملكة العربية السعودية من زيادة في الإنتاج النفطي في العام 1986، وهو ما أدى بطبيعة الحال إلى انخفاض أسعار النفط وبالتالي انخفاض عائدات إيران.^[3]

على مدى أعوام الثمانينيات لم يستكن السعوديون عن تمويل الجانب العراقي في الحرب الإيرانية العراقية،^[4] حتى أنه وقعت بعض المواجهات العسكرية المباشرة البسيطة. وعندما وصلت الحرب الإيرانية العراقية إلى المرحلة التي كانت تعرف بـ«حرب السفن» في أعقاب آذار من العام 1984، تعرضت العديد من السفن السعودية والكويتية للقصف من الجانب الإيراني وبعضها الآخر من الجانب العراقي حتى.^[5] وبتاريخ 5 حزيران من العام 1984 قامت القوات السعودية بإسقاط طائرة فانتموم إيرانية ولكن الحيلة التي كانت تسود آنذاك كلا الجانبين حالت دون أن يتحول الوضع إلى

[1]- خدمة بث المعلومات الأجنبية، 4 FBIS، تشرين الثاني 1993؛ إبراهيم، الشيعة (Shi'is)، ص. 180.

[2]- الأمير، الحركات، ص. 175؛ إبراهيم، الشيعة (Shi'is)، ص. 179 والصفحة التالية.

[3]- الثورة الإسلامية العدد 72 (آذار 1986)، ص. ص. 40، 46 والصفحة التالية.

[4]- شاهرام تشوبين وتشارلز تريب، Iran and Iraq at War (إيران والعراق في زمن الحرب) (لندن: أي بي تورييس، 1998)، ص. ص. 158 - 79.

[5]- ناديا السيد الشاذلي، The Gulf Tanker War: Iran and Iraq's Maritime Swordplay (حرب السفن في الخليج: المبارزة المائية بين إيران والعراق) (هاوندميلز، المملكة المتحدة: ماكميلان، 1998)، ص. ص. 27 والصفحة التالية، 208 - 10؛ مارتن أسز نافياس وإي. أر. هوتون، Tanker Wars: The Assault on Merchant Shipping during the Iran - Iraq Conflict 1980 - 1988 (حروب السفن: الاعتداء على السفن التجارية في أثناء الصراع الإيراني العراقي 1980 - 1988) (لندن: أي بي تورييس، 1996)، ص. ص. 77 - 85.

الاعتقال.^[1] أما بتاريخ 31 تموز من العام 1987 لقي عدة مئات من الأشخاص، وهم بغالبهم من الحجاج الإيرانيين إنما أيضاً بعض رجال الشرطة السعوديين مصرعهم وأصيب أعداد كبيرة بالجروح في إحدى المظاهرات التي أدت إلى التدافع في أثناء موسم الحج في خارج الحرم المكي الكبير، وما كان من السعودية وإيران إلا أن أَلقت كل واحدة منهما باللوم على الأخرى في مقتل كل تلك الأعداد، وبالنتيجة أدت هذه الحادثة بالعلاقات السعودية الإيرانية لأن تتجه من سيئ إلى أسوأ.^[2] على الرغم من أن المعني الأساسي بهذه الصدامات كان الإيرانيون إلا أن بعض الادعاءات زعمت تورط بعض المنظمات السعودية الشيعية.^[3] بالمحصلة عمدت كل من الدولتين إلى مضاعفة جهودها من أجل التأثير أكثر فأكثر على الرأي العام المسلم والتقليل من شأن الأخرى، ومن ضمن هذه الحملة جاء نشر المواد الدعائية حول أحداث مكة.^[4]

خط الإمام

انتهى الأمر بالمجماعات الإيرانية التي كانت تقدم الدعم للحركة الشيرازية منذ العام 1979 بأن ضعفت إلى أدنى مستوياتها على خلفية فضيحة إيران غايت في أواخر العام 1986.^[5] من صلب الفضيحة كان ثمة مخطط وضعه المسؤولون في إدارة ريغان يقضي ببيع الأسلحة لإيران عن طريق إسرائيل من أجل ضمان إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين المعتقلين لدى مجموعات شيعية في لبنان، بالمقابل فإن المال الذي

[1]- فورتيف، Iran's Rivalry (الصراع الإيراني)، ص. 67؛ غيرد نونمان، Iraq, the Gulf States and the War (العراق ودول الخليج والحرب) (لندن: مطبوعات إيتاكا، 1986)، ص. 71.

[2]- دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1987، ص. ص. 76 - 172، 91 - 589، 5 - 601؛ مارشال، Iran's (إيران)، ص. 52 والصفحة التالية؛ كرايمر، Arab Awakening (الصحوة العربية)، ص. ص. 8 - 170.

[3]- خدمة بث المعلومات الأجنبية 19، FBIS، تشرين الثاني 1987؛ بيترسون، Historical Dictionary (المعجم التاريخي)، ص. 122. يقول آخرون بأن الاحتجاجات التي كانت قد حصلت من قبل كان من ضمنها سعوديون شيعية. كوردسمان، Saudi Arabia (المملكة العربية السعودية) ص. 209.

[4]- راجع وارنر أند، "Sunni Polemical Writings on the Shi'a and the Iranian Revolution" (الكتابات السننية المثيرة للجدل حول الشيعة والثورة الإيرانية) في The Iranian Revolution and the Muslim World (الثورة الإيرانية والعالم الإسلامي)، تحرير دافيد ميناشري (بولدير، كولورادو: مطبوعات واستيفو، 1990)، ص. ص. 32 - 219.

[5]- لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. ص. 6 - 183؛ إبراهيم، الشيعيون (Shi'is)، ص. 145.

تحصل عليه الإدارة من هذه العملية يذهب لدعم الانقلابات في نيكاراغوا. على الرغم من أن الملف لا يزال محاطًا بالكثير من السرية، ولكن يمكن الاعتبار أن القضية خرجت إلى العلن عندما نشرت مجلة الشراع اللبنانية تفاصيل حول رحلة سرية قام بها مستشار الأمن القومي الأمريكي آنذاك روبرت ماكفرلاين إلى طهران، وفي تاريخ 12 تشرين الأول من العام 1986 تم إلقاء القبض على مهدي هاشمي، وهو الذي كان من أكبر المدافعين عن حركة الرساليين الطلائع داخل إيران، ذلك إلى جانب عدد من الداعمين له، وفي معرض الرد على هذه التوقيفات قام مناصرون لمهدي هاشمي بتسريب تفاصيل هذه الحادثة.^[1]

يتحدث المقال الذي نشرته الشراع عن الأشخاص الذين سرّبوا المعلومات على أنهم من «مناصري» هاشمي، ويذكر بأنهم أقدموا على كشف النقاب عن زيارة ماكفرلاين من أجل الانتقام من أكبر هاشمي رفسنجاني وعلي خامنئي لادعائهم بأنهما كانا وراء توقيف مهدي هاشمي. وقد تحسّر المقال على الوضع الذي تعانيه إيران من تخطيط بين منطق الدولة ومنطق الثورة وبالمقابل أثني على مبدأ تصدير الثورة الذي قاده محمد منتظري ومهدي هاشمي، وذكر بأن هذا الأخير قد تعرّض للتوقيف لسببين اثنين، أولهما اختطاف القائم بالأعمال السوري في طهران وثانيهما التخطيط لنقل الأسلحة في خلال موسم الحج في العام 1986، ولكن العملية انكشفت في حين أن مناصري هاشمي يدعون بأن الأسلحة كانت قد هُرّبت على يد الحرس الثوري الإيراني. أما في ما يعني ماكفرلاني فيذهب المقال للقول بأنه في مقابل الأسلحة كان يريد من طهران أن تكف أيضًا عن دعم الحركات التحررية وأن تضمن أمن دول الخليج العربي.^[2] ويشير أحد التقارير بالتفصيل إلى أن السعودية طلبت أن توقف إيران دعمها لناشطتي المعارضة الشيعة داخل المملكة العربية السعودية

[1]- آية الله حسين علي منتظري، خاطرات (خواطر) من مجلدين (2000)، المجلد الأول ص. 607، www.amontazeri.com/farsi/khaterat/html/0543.html؛ للاطلاع أكثر على مهدي هاشمي راجع المجلد الأول ص. 16 - 608. يقول إبراهيم إن مهدي هاشمي وأحد أعضاء حركة الرساليين الطلائع قررا تسريب هذه المعلومات. إبراهيم، الشيعة (Shi'is)، ص. 145.

[2]- الشراع، 3 تشرين الثاني 1986؛ خدمة بث المعلومات الأجنبية 6، FBIS، تشرين الثاني 1986.

وباقى دول الخليج.^[1] وفي النهاية فقد جاءت خاتمة رياح هذا الفصل على عكس ما تشتهي سفن رواد تصدير الثورة: انتهى الأمر بمهدي هاشمي معدومًا في العام 1987، وأغلقت أبواب حركة التحرير، أما حسين علي منتظري فقد تمت تنحيته وفقد أهليته لخلافة الخميني في العام 1989.^[2]

بالنسبة إلى حركة الرساليين الطلائع ومنظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية فقد اختارت أن تسحب تدريجيًا من إيران، وفي العام 1987 اتخذت اللجنة المركزية في منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية قرارًا بأن تخفف من حدة خطابها تجاه الحكومة السعودية بعد أن أصدرت هذه الأخيرة عفوًا أدى إلى إطلاق سراح العديد من أعضائها المسجونين.^[3] ولكن وفق ما يقول أحد ناشطي المعارضة الشيعية السعوديين السابقين فإن إيران أرادت الانتقام من المملكة العربية السعودية والردّ عليها عسكريًا في أعقاب حوادث الحج، وبالتالي فإن المزاعم تقول بأن حرس الثورة الإيراني حثّ منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية على إنشاء جناح عسكري لها وأن تقوم بالهجمات العسكرية داخل المملكة ولكن ما كان من المنظمة

[1]-دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1986، ص. 106. نظريات أخرى تقول إن أحد الدبلوماسيين السوريين أو عملاء المخابرات المتخفين في طهران ويدعى إباد المحمود، سمع بشأن هذه الرواية، وقام بإرسالها إلى دمشق، وبالتالي أختطفه فرع مهدي هاشمي بتاريخ 2 تشرين الأول 1986، وعليه فإن حافظ الأسد هو من سرّب هذه المعلومات. باتريك سيل، Asad of Syria: The Struggle for the Middle East (لندن: أي بي توريس، 1988)، ص. 489 والصفحة التالية. نظرية أخرى أيضًا ترجح بأن هذه الرواية قد نُشرت في إحدى صحف حزب الله في بعلبك قبل أسبوع من نشرها في مجلة الشراع التي بالكاد قامت بنقل الخبر. جون بولوك وهارفي موريس، The Gulf War: Its Origins, History and Consequences (حرب الخليج: أصلها وتاريخها ونتائجها) (لندن: ماثوين لندن، 1989)، ص. 96 والصفحة التالية.

[2]-دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1986، ص. 9 - 136، 329 - 35؛ كينيث كاتزمان، The Warriors of Islam: Iran's Revolutionary Guard (جنود الإسلام: الحرس الثوري الإيراني) (بولدرين كولورادو: مطبوعات واستيفو، 1993)، ص. 150 والصفحة التالية؛ نيكي آر. كيدي، Modern Iran: Roots and Results of Revolution (إيران الحديثة: جذور الثورة ونتائجها) (نيو هافن، كيتيكوت: مطبوعات جامعة يال، 2006)، ص. 260؛ لويز، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. 184 والصفحة التالية؛ باقر معين، Khomeini: Life of Ayatollah (الخميني: حياة آية الله) (لندن: أي بي توريس، 1999)، ص. 263 والصفحة التالية.

[3]- إبراهيم، الشيعة (Shi'is)، ص. 143.

إلا أن رفضت هذا المطلب،^[1] وردًا على هذا الرفض عمدت إيران إلى التعاون مع مجموعة سعودية شيعية أخرى والتي أصبحت في ما بعد من أتباع مرجعية الخميني.^[2]

اشتهرت هذه المجموعة بصورة غير رسمية باسم خط الإمام، بالإشارة إلى أتباع خط الإمام الخميني. ويعود الأصل بهذه الحالة السياسية إلى أوائل أعوام الثمانينيات عندما انتقلت مجموعة من الطلاب السعوديون الذين يدرسون في حوزة النجف إلى قم، حيث كانوا يتلقون علومهم على يد محمد باقر الصدر في النجف ولكنهم أيضًا كانوا على اتصال بالخميني الذي ظل يدرّس هناك حتى عام 1978. عندما ضيق صدام حسين الخناق على الحركة الشيعية في العام 1980 وعمد إلى قتل الصدر، وبالتالي فقد فضل هؤلاء الطلاب السعوديين الشيعة أن يغادروا من النجف باتجاه قم. من ضمن مجموعة الطلاب هذه تبرز أسماء من أمثال حسين الرضا، هاشم الشخص، حسن النمر من الأحساء، بالإضافة إلى عبد الكريم الحويل وسعيد البحار من تاروت.^[3] وفي قم أسس هؤلاء تجمع علماء الحجاز الذي اتخذ من حوزة الحجازية مقرًا له وهي الحوزة التي كانت مخصصة للطلاب السعوديين، وقد ركّز هذا التجمع في بداياته على تنظيم النشاطات الدينية وعلى نشر فكرة ولاية الفقيه ومرجعية الخميني والترويج لهما في المنطقة الشرقية وبين الزوّار السعوديين إلى السيدة زينب. ولم يتحول رجال الدين إلى التسييس إلا رويدًا رويدًا مع أن الغالبية من ضمنهم كانوا يعتبرون حياديين سياسيًا في أواخر أعوام السبعينيات وبداية عقد الثمانينيات. حتى أنهم لم يشاركوا في الانتفاضة التي جرت والتي شكلت حدثًا مفصليًا وأساسيًا بالنسبة إلى الحركة الشيرازية.

[1]- مقابلة مع أحد كبار الأعضاء السابقين في حركة الرسالين الطلائع، آب 2008؛ الإبراهيم والصادق، الحراك الشيعي في السعودية، ص. 146.

[2]- لوير، Transnational (وراء الحدود الوطنية)، ص. 211؛ ماتهاينسن، "Hizbullah" (حزب الله)، ص. 6 - 182.

[3]- مقابلة مع عضو سابق في تجمع علماء الحجاز، المنطقة الشرقية، تشرين الثاني، 2008؛ الإبراهيم والصادق، الحراك الشيعي في السعودية، ص. 142 والصفحة التالية، ماتهاينسن، "Hizbullah" (حزب الله)، ص. 180 والصفحة التالية.

وفقاً لما ورد على لسان الحزب نفسه، فإن حزب الله الحجاز قد تأسس في أيار من العام 1987.^[1] وبعد مرور أسبوع على حادثة الحج كرّس الحزب نفسه لمناهضة العائلة الحاكمة في المملكة العربية السعودية.^[2] ولا تزال حتى اليوم العلاقة التي كانت تجمع بين كل من الحركة الاجتماعية والثقافية والدينية الواسعة والتي يُشار إليها بخط الإمام، والجناح العلمائي المسمى تجمع علماء الحجاز، والجناح العسكري المسمى حزب الله الحجاز محاطةً بالكثير من عدم الوضوح؛ حيث لا يزال أعضاء سابقون يصرون، لأسباب أمنية ربما، على أنه في حين كانت هذه الأجنحة تشارك الأيديولوجية عينها، ولكنهم لم يكونوا مندمجين بصورة كبيرة على المستوى العملائي، حيث إن الجناح العسكري كان يُدار عن طريق خلية بنوية وبالتالي فإن سهولة الحصول على المعلومات بشأن بعض العمليات المحددة كان شبه محصوراً بعدد قليل من أعضاء هذه الخلية.^[3]

تألف في بادئ الأمر الجناح العسكري بصورة أساسية من أعضاء في حركة الرساليين الطلائع ممن أرادوا استخدام العنف ضد الحكومة السعودية ولكنهم لم يكونوا قادرين على ذلك في إطار حركة الرساليين الطلائع، إضافةً إلى أولئك الذين فضلوا اتباع مرجعية الخميني.^[4] ولد أحمد إبراهيم المغّسل الذي أصبح فيما بعد أميناً عاماً لحزب الله الحجاز في العام 1967 في القطيف، وقد هاجر إلى إيران في أعقاب الانتفاضة حيث تلقى علومه في حوزة القائم التابعة لحركة الرساليين الطلائع، كما وتلقى التدريب العسكري في مخيم عسكري تابع للحركة، ومن ثم اكتسب الخبرة في ميادين القتال نتيجة لمشاركته القتال في الجنوب اللبناني إلى جانب حزب الله

[1]- حزب الله الحجاز، تصريح صحفي لحزب الله الحجاز ردّاً على تصريحات الصفار لقناة العربية، 9 آذار 2005، www.alhramian.com. ربما يكون أول تصريح للحزب قد صدر في تاريخ 10 تموز 1987 استنكاراً لإغلاق مسجد تابع للشيعة في الدمام. <https://web.archive.org/web/20071224113032/http://alhramain.com/text/payan/alhejaz/1.htm>

[2]- هذا التصريح الذي كان قد نُشر بتاريخ 7 آب 1987 في صحيفة السفير اللبنانية أعيد طبعه في كتاب عن الحج أصدرته إحدى دور النشر التابعة لمنظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، فهد القحطاني، مَجَزَة مكة: قصة المذبحة السعودية للحجاج (لندن: الصفا للنشر والتوزيع، 1988).

[3]- الإبراهيم والصادق، الحراك الشيعي في السعودية، ص. 156 والصفحة التالية.

[4]- مقابلة مع أحد الأعضاء القياديين السابقين في حركة الرساليين الطلائع، آب 2008.

اللبناني في مواجهة القوات الإسرائيلية.^[1] بالإضافة إلى أولئك، انضم بعض الطلاب السعوديين الشيعة في الولايات المتحدة، ممن كانوا قد انضموا مؤخراً إلى صفوف حركة الرساليين الطلائع، إلى حزب الله الحجاز^[2] الذي تمثل هدفه السياسي على المدى الطويل في إقامة دولة إسلامية على أراضي شبه الجزيرة العربية على غرار النموذج الإيراني، فما كان إلا أن روج للانقلاب على الحكومة السعودية من خلال العنف.^[3] حتى ولو لم يكن الأمر معلناً جهراً إلى أن انفصال المنطقة الشرقية كان هدفاً ضمنياً، انطلاقاً من أنه لا يتوقع من باقي البلاد أن تدعم نظاماً سياسياً وفقاً للنموذج الإيراني.

تقسيم التيار الإسلامي الشيعي السعودي المعارض كان له الأثر العميق على حركة المعارضة والمجتمع داخل المنطقة الشرقية، إذ كان موقف حزب الله الحجاز وتجمع علماء الحجاز من منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية يميل نحو العدائية نوعاً ما، حتى أنه كان لنشأة حزب الله الحجاز الأثر في تغيير أيديولوجية منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية وتكتيكها، إذ إن الطيف المتشدد داخل الحقل السياسي السعودي الشيعي لم يكن يتألف من حزب الله الحجاز، وقد احتل خط الإمام مكان الدور الذي كانت تضطلع فيه منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية في إطار مساعي البروباغندا الإيرانية المناهضة للمملكة العربية السعودية، أولاً من خلال مجلة الفتح التي راحت تصدر مع نهاية عام 1987 ومن ثم من خلال مجلة رسالة الحرمين.^[4]

وسرعان ما بدأ حزب الله الحجاز تنفيذ الهجمات العسكرية ضد المصالح السعودية، حيث افتتح هذه السلسلة بأولى عملياته التي نُفذت بتاريخ 16 آب 1987،

[1]-الإبراهيم والصادق، الحراك الشيعي في السعودية، ص. 158 والصفحة التالية.

[2]- مقابلة مع أحد كبار الأعضاء السابقين في منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، دمشق، آب 2008.

[3]- الحسن، «المعارضة»؛ حسين موسى، الأحزاب والحركات الإسلامية في الخليج والجزيرة العربية (المنامة: الناشر غير مذكور، 2004)، ص. 68.

[4]-للحصول على ملخص لمحتويات العدد الثاني من مجلة الفتح راجع الثورة الإسلامية العدد 96 (شباط 1988)، ص. 31.

وهي عبارة عن تفجير معمل للنفط السائل في منطقة رأس الجمعية. على الرغم من أن الحكومة أعلنت أنذاك أن الأمر كان حادثاً ولكن في ما بعد اتُّهم حزب الله الحجاز بتنفيذ العملية.^[1] في شهر آذار من العام 1988 أضرم النيران في معمل البتروكيماويات التابع للشركة السعودية للبتركيماويات - صدف في منطقة الجبيل نتيجة عدد من الانفجارات، حيث أعلن حزب الله الحجاز مسؤوليته عن العملية^[2] إذ أقدمت خلية تابعة لهذا الحزب إلى جانب أربعة أعضاء من تاروت على تنفيذ الهجوم، وواحدًا من ضمنهم كان موظفًا في شركة صدف في حين أن آخر كان قد قاتل إلى جانب حزب الله في لبنان حيث تلقى التدريبات العسكرية.^[3] على خلفية هذه الأحداث جرت موجة من الاعتقالات الواسعة وعندما انخرطت قوات الأمن السعودية في اشتباك مع ثلاثة عناصر من خلية حزب الله الحجاز وقع العديد من القتلى والجرحى في صفوف رجال الشرطة السعوديين قبل إلقاء القبض على المسلحين. وفي ما بعد تم إعدام هؤلاء الثلاثة إلى جانب العنصر الرابع في الخلية علناً.^[4] بالإضافة إلى ذلك فقد جرت عدة

[1]- مارشال، Iran's (إيران)، ص. 38؛ بيترسون، Historical Dictionary (المعجم التاريخي)، ص. 122؛ "Mine Sinks Vessel in a Staging Area for Gulf Shipping" (الألغام تُغرق سفينة في منطقة تجمع مخصصة للسفن الخليجية)، نيويورك تايمز، 16 آب 1987؛ "U.S. Helicopters Arrive for Mission 8" (8) Sweep the Gulf" طائرات هليكوبتر أمريكية تصل في مهمة تمشيط الخليج)، نيويورك تايمز، 17 آب 1987؛ "Saudi Group Tied to Other Attack" (مجموعة سعودية متهمّة بالضلوع في هجوم آخر)، نيويورك تايمز، 29 آذار 1997. تشرح مطبوعات منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية بالقول أن الاعتقالات التي جرت في أعقاب ذلك تؤكد أن الأمر لم يكن مجرد حادث. راجع الثورة الإسلامية، العدد 98 (آيار 1988)، ص. ص. 8 - 13.

[2]- الثورة الإسلامية، العدد 98 (آيار 1988)، ص. ص. 8 - 13؛ "Saudi Arabia Beheads 16" (السعوديون وإيران: تأكيدات جديدة)، نيويورك تايمز، 4 آيار 1988؛ "Kuwaitis Linked to Pro-Iranian Terrorism" (السعودية تقطع رؤوس 16 كويتيًّا متهمين بالضلوع في الإرهاب الحليف لإيران)، نيويورك تايمز، 22 أيلول 1989؛ إبراهيم، الشيعيون (Shi'is)، ص. 142.

[3]- أول أربعة أعداد من رسالة الحرمين (1989 - 1990). راجع أيضًا الثورة الإسلامية، العدد 105 (كانون الأول 1988)؛ العلي، شعب القطيف، ص. 77 والصفحة التالية.

[4]- هؤلاء كانوا: أزهري علي الحجاج، علي عبد الله الخاتم، محمد علي القروص، خالد عبد الحميد العلق، عبير، Saudi Arabia (المملكة العربية السعودية)، ص. 158؛ إبراهيم، الشيعيون (Shi'is)، ص. 142؛ كرملي، Political Economy (الاقتصاد السياسي)، ص. 301 والصفحة التالية؛ دراسات الشرق الأوسط الحديثة، 1988، ص. 687 والصفحة التالية؛ "The Gulf: Shi'ites: Poorer Cousins" (الخليج: الشيعة: أولاد العم الأفقر)، مجلة التايمز، 24 أيلول 1990. راجع أيضًا البيان الصادر عن حزب الله الحجاز في 5 آب 1988، www.alhramain.com. يمكن الاطلاع على صور "الشهداء" في مجلة رسالة الحرمين العدد 43 / 44 (آب / أيلول 1993)؛ الثورة الإسلامية، العدد 103 (تشرين الأول 1988)، ص. ص. 18 - 32.

أحداث من ضمنها التفجيرات في معمل التكرير في رأس التنورة ومحاولة تفجير أخرى يُزعم بأنها فشلت في رأس الجمعية.^[1] هذه التفجيرات التي قادها السعوديون الشيعة ضد المصالح النفطية السعودية حملت شركة أرامكو على استصدار سياسة صارمة تقضي بعدم توظيف الشيعة في المناصب الحساسة.^[2]

على الأثر أراد حزب الله الحجاز ومناصروه الانتقام من الإعدامات فأقدموا على اغتيال العديد من الدبلوماسيين والمبعوثين السعوديين في الخارج، كما ويتم الحديث عن أن خلية تابعة لحزب الله الحجاز حاولت مهاجمة طائرات نظام الإنذار المبكر والتحكم الأميركية التي كانت متمركزة في قاعدة الظهران الجوية، في الفترة الأخيرة من عمر الحرب الإيرانية العراقية في منتصف عام 1988، ولكن إحدى القنابل انفجرت بين يدي أحد المسلحين في أثناء التحضير للهجوم، وفي ما بعد أُلقي القبض على أعضاء الخلية في إحدى المستشفيات المحلية ولكن أعيد إطلاق سراحهم بعيد أشهر قليلة، لربما نتيجة للتدخل من قبل وجهاء الأحساء.^[3] وفي معرض الرد على حادثة الحج وتفجيرات حزب الله الحجاز والهجوم على السفارة السعودية في طهران والهجمات الإيرانية على السفن المتجهة نحو المملكة العربية السعودية أو المغادرة منها، قامت المملكة العربية السعودية بقطع جميع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران في 26 نيسان 1988.^[4]

[1]- إبراهيم والصادق، الحراك الشيعي في السعودية، ص. 159؛ بيترسون، Historical Dictionary (المعجم التاريخي)، ص. 122.

[2]- فولير وفرانك، Arab Shi'a (الشيعة العرب) ص. ص. 5 - 183؛ مانهانسن، "Hizbullah" (حزب الله)، ص. ص. 8 - 185؛ وودورد، Oil and Labor in the Middle East، 93 (النفط والعمالة في الشرق الأوسط، 93). يبدو أنه في العام 1983 تمكن بعض النشطاء الشيعة من سرقة الأرقام السرية في معمل التكرير في رأس التنورة. رايت، Sacred Rage (الغضب المقدس) ص. 171. ادعت منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية أن لها مناصرين داخل أرامكو ونشرت مقابلات أجرتها مع «مصادر من داخل أرامكو»، الثورة الإسلامية، العدد 61 (آيار 1985)، ص. 6 والصفحة التالية.

[3]-مقابلة مع أحد الأعضاء السابقين في حزب الله الحجاز، بيروت، آب 2008؛ إبراهيم والصادق، الحراك الشيعي في السعودية، ص. 160.

[4]- جون كلابريزي، Revolutionary Horizons: Regional Foreign Policy in Post - Khomeini Iran (الآفاق الثورية: السياسة الخارجية الإقليمية في إيران ما بعد الخميني) (نيويورك: مطبوعات سان مارتن، 1994) ص. 51؛ فيرتغ، Iran's Rivalry (الخلافات الإيرانية)، ص. ص. 49، 260.

ادعت منظمة جند الحق ومنظمة الجهاد الإسلامي في الحجاز، اللتان من المرجح أن تكونا على صلةً بالجناح العسكري لحزب الله الحجاز، مسؤوليتهما - أو لربما اتهمتا بذلك - عن سلسلة الاغتيالات التي جرت بحق الدبلوماسيين السعوديين في أنقرة في تشرين الأول من العام 1988 ومن ثم في العام 1989، وعن جرح الدبلوماسي السعودي في كاراتشي في كانون الأول من العام 1988، ذلك إلى جانب الهجمات التفجيرية التي وقعت في الرياض من عام 1985 حتى 1989.^[1] يجزم البعض بأن منظمة الجهاد الإسلامي في الحجاز كانت عبارة عن جبهة منظمة جديدة تألفت من أفراد شيعة لبنانيين وسعوديين كانوا على اتصالٍ بمجموعات فلسطينية وفصائل داخل إيران كانت بدورها معارضةً للتقارب الإيراني مع المملكة العربية السعودية.^[2] علماً بأن منظمة الجهاد الإسلامي في الحجاز كانت قد أعلنت بأن إعدام الدبلوماسي السعودي في بانكوك في كانون الأول من العام 1989 جاء انتقاماً للإعدامات التي جرت بحق أربعة من عناصرها في السعودية^[3]، وكذلك الأمر أيضاً بالنسبة إلى الدبلوماسي السعودي الذي كان قد اغتيل في أنقرة في شهر كانون الأول من العام السابق^[4].

[1]- جاشوا تيتلبوم، "Saudi Arabia's Shi'i Opposition: Background and Analysis" (المعارضة الشيعية في المملكة العربية السعودية: خلفيات وتحليل)، بوليسي واتش العدد 225 (واشنطن العاصمة: مركز واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 14 كانون الأول 1996)، ص. 1؛ "Saudi Group Tied to Other Attack" (مجموعة سعودية متهمة بالضلوع في هجوم آخر)، نيويورك تايمز، 29 آذار 1997؛ عبير، Saudi Arabia (المملكة العربية السعودية)، ص. 158 والصفحة التالية؛ Saudi Centre de Recherche sur les Menaces (مركز الأبحاث حول التهديدات الجزائية المعاصرة)، Atlas Mondial de l'Activisme (الأطلس العالمي للحركات) (باريس، 1990)؛ رسالة الحرمين، العدد 0 (1989)؛ رسالة الحرمين، العدد 5 (1990)؛ بترسون، Historical Dictionary of Saudi Arabia (المعجم التاريخي للمملكة العربية السعودية)، ص. 122.

[2]- "Pro - Iranian Terror Groups Targeting Saudi Envoys" (المجموعات الإرهابية المقربة من إيران تستهدف المبعوثين السعوديين) نيويورك تايمز، 8 كانون الأول 1989؛ "Saudi Overhaul Secret" (السعوديون يعيدون إلى الواجهة المخابرات السرية بعد عمليات القتل الإرهابية) الإندبندينت، 14 كانون الأول 1989.

[3]- "Pro - Iranian Terror Groups Targeting Saudi Envoys" (المجموعات الإرهابية المقربة من إيران تستهدف المبعوثين السعوديين)

[4]- رسالة الحرمين، العدد 0 (1989).

لا شك بأن الجناح السعودي من شبكة حزب الله العابر للحدود كانت تربطه العلاقات الايديولوجية والتنظيمية مع منظماتٍ شبيهةٍ له منتشرة في أوساط الشيعة في باقي دول الخليج، ولا سيما نذكر في الكويت والبحرين. وفي أيلول من العام 1989 تم إعدام ستة عشر كويتيًّا شيعيًّا بسبب تهريب المواد المتفجرة ووضعها على مقربةٍ من الحرم المكي الكبير في شهر تموز من ذاك العام. ففي الواقع هم كانوا اعضاءاً من حزب الله الكويت، وجميعهم من الكويتيين الشيعة ذوي الأصول الإيرانية والسعودية.^[1] وعلى نحوٍ موازٍ تم أيضاً إلقاء القبض على بعض الشيعة من الأحساء،^[2] وبالتالي فقد أعلن عناصر من حزب الله الكويت بالاشتراك مع حزب الله الحجاز الانتقام في مؤتمر صحفي عقد في بيروت.^[3] ومن ثم في شهر تشرين الثاني من العام 1989 ذاته، أعلنت منظمة الجهاد الإسلامي في الحجاز مسؤوليتها عن اغتيال الدبلوماسي السعودي في بيروت انتقاماً لقطع رؤوس الكويتيين الستة عشر والسعوديين الأربعة (عام 1988)^[4].

الخاتمة

انطلاقاً من أعوام السبعينيات، راحت الحركتان الإسلاميتان المحليتان تتناميان بصفتهم القوتين السياسيتين الأقويين في أوساط المجتمع السعودي الشيعي العسكري، بحيث شكل هذا المبدأ العقيدة الأساسية لخط الإمام في حين أن حدّته كانت أخف لدى الشيرازيين، وهو الذي جاء بمثابة «حركة قطعية وردّ فعلٍ تسببت بهما سياسة التمييز الجماعية على المستوى السياسي أو الإقتصادي أو الثقافي، وهو

[1]- "Saudi Arabia Beheads 16 Kuwaitis Linked to Pro-Iranian Terrorism" (السعودية تقطع رؤوس 16 كويتيًّا متهمين بالضلوع في الإرهاب الحليف لإيران)، نيويورك تايمز، 22 أيلول 1989.

[2]- راجع البيان الصحفي الصادر عن حزب الله الحجاز، "بمناسبة الاعتقالات في المنطقة الشرقية"، 10 تموز 1989، www.alhramain.com.

[3]- Centre de Recherche sur les Menaces Criminelles Comtemporaines (مركز الأبحاث حول التهديدات الجزائية المعاصرة)، Atlas Mondial de l'Activisme (الأطلس العالمي للحركات)، ص. 36. راجع أيضاً البيانات الصحفية التي أصدرها حزب الله الكويت وحزب الله الحجاز في رسالة الحرمين، العدد 0 (1989).

[4]- رسالة الحرمين العدد 1 (1989)، "U.S. Links Tehran to Terror Squads" (الولايات المتحدة تربط طهران بالجماعات الإرهابية)، نيويورك تايمز، 12 تشرين الثاني 1989.

يسعى إلى إيجاد الحلول لهذه المشاكل وغيرها من المظلوميات التي قد نواجهها في المجتمعات التعددية».^[1] في الواقع، فإن الهدف الرئيسي للحركات الإسلامية المحلية هو أسلمة المجتمع من دون أن تنسى نشر المظالم التي يعانيها مجتمعها إلى العلن. ما سعى إليه الشيرازيون وكذلك خط الإمام هو فرض الأمر بالمعروف والحد من الميول العلمانية داخل المجتمع، وهو ما تمثل في المجموعات الشبابية المنتمية إلى خط الإمام، على سبيل المثال، والتي راحت تتصرف على أنها عناصر محلية تسعى إلى فرض الأمر بالمعروف في القرى المحيطة بالقطف^[2].

لم تفتأ أعوام الثمانينيات أن تشهد ازدياد توتر العلاقة ما بين الشيعة والسلطات الرسمية، فقد عاش المئات من الناشطين في الخارج وكان عليهم التأقلم مع الجانب المظلم من سياسات النفي التي تعتمدها الحكومات في الشرق الأوسط تجاه المنفيين. وفي نهاية المطاف انفصل الشيرازيون عن الإيرانيين، وراحت العلاقة ما بين الاثنين تندور إلى درجة أن السعوديين بدأوا يرحلون عن إيران شيئاً فشيئاً وأن المرشد الروحي الأعلى لحركة الشيرازيين، محمد الشيرازي، قضى العقد الأخير من حياته حتى وفاته في العام 2002 في منزلٍ رهن الاعتقال في إيران. في حين أن مجموعة جديدة كانت تروج لمرجعية الخميني برزت وراحت تهدد الاحتكار الذي كانت تتمتع به الحركة الشيرازية داخل الحركة الإسلامية الشيعية في المنطقة الشرقية وفي أوساط الشيعة السعوديين المقيمين في الخارج، وبعد أن تلقوا الدعم من إيران وحزب الله اللبناني، سرعان ما باتوا قادرين على تأسيس منظمة سياسية جديدة في العام 1987، والتي حملت خلافاً مع السلطات السعودية إلى مستوى جديد يتسم بالمزيد من العنف. ولكن لا ننسى أن هذا العنف بعينه هو ما أعطى السلطات السعودية الذريعة المنتظرة، ولا سيما في أعين حلفائها من الغربيين، لكي تنفس غلّها من جميع حركات المعارضة الشيعية. وفي أعقاب العام 1989، راحت الشبكات المرتبطة بحزب الله الحجاز وخط الإمام داخل المملكة العربية السعودية

[1]- عبد الجبار، الشيعة (Shi'ite)، ص. 41.

[2]- الإبراهيم والصادق، الحراك الشيعي في السعودية، ص. 155 والصفحة التالية.

توهن شيئاً فشيئاً نتيجةً للاعتقالات التي اجتاحت صفوفها وقاداتها.^[1] وبما أنه كان يتبع خطأً مناصراً لإيران ويعتمد على الدعم من هذا البلد، فلا شك بأن حزب الله الحجاز كان عرضةً للتغيرات التي كانت تطرأ على العلاقات الإيرانية - السعودية.

وفي موازاة ذلك، شكّل خط الإمام التحدي الكبير والجدي بالنسبة إلى الشيرازيين على أرض الواقع الديني، إذ إن العديد من كبار رجال الدين المنتمين إلى خط الإمام شكلوا محلّ الثقل على المشهد الديني لدى الشيعة السعوديين، والذين اعتُبرت معرفتهم وإصداراتهم الفكرية في إطار الفقه الإسلامي أعلى بكثير من إمكانيات رجال الدين الشيرازيين، أضف إلى ذلك أنهم كانوا منخرطين تماماً داخل الشبكات السائدة في الحوزات الشيعية في النجف وقم، في حين أن النظرة التي جوبه بها الشيرازيون كانت نظرة شكٍّ في هذه المراكز التعليمية والتي بدأت من كربلاء. سلط خط الإمام الضوء على الحاجة إلى الدفاع عن الشيعة في القطيف والأحساء في مواجهة «الوهابيين»، الذين يعتبرون من جهتهم أنه مصطلح تحقيري يوصم به أتباع محمد بن عبد الوهاب، عن طريق استخدام العنف وإنشاء الخلايا العسكرية المحلية. كان الشباب من المنتسبين إلى الخط يلقنون الأفكار التي تتمحور حول الجهاد من وجهة نظر الخميني. وفي حين أن الخطاب الصادر عن لسان خط الإمام وحزب الله الحجاز كان خطاباً إسلامياً وحدوياً، إلا أن تعاليمهم وحلقاتهم التعليمية المغلقة كانت تشدّد على ضرورة ترسيخ الهوية المذهبية المتباينة،^[2] إذ لا ننسى أن واحدة من أهم العناصر التي تشكل الإرث الشيعي السعودي داخل الحركات الإسلامية المحلية هو هذا الإصرار على الهوية المذهبية.

[1]- إبراهيم، الشيعيون (Shi'is)، ص. 142؛ الثورة الإسلامية، العدد 103 (تشرين الأول 1988)، ص. 18 - 32. في العام 1990 أطلق سراح أربعة من أعضاء حزب الله الحجاز ولكن ما لا يقل عن أربعة آخرين ظلوا رهن الاعتقال حتى عام 1993، وهم: عبد الكريم الجليل، جعفر المبارك، عبد اللطيف الناصر، عبد الله النمزر راجع رسالة الحرمين العدد 32 (1992)؛ أرابيا مونيتور، 9 تشرين الأول 1992، ص. 8.

[2]- مقابلة مع أحد الأعضاء السابقين في حزب الله الحجاز، بيروت، آب 2008؛ إبراهيم والصادق، الحراك الشيعي في السعودية، ص. 161.